تاريخ
بيت المقدس
وفضائل القدس

تأليف
الكاتب الإسلامي
بكر محمد إبراهيم
عضو اتحاد الكتاب

الناشر
مكتبة القدسي
للنشر والتوزيع

مكتبة القدس

للنشر والتوزيع

٧٤ ش البستان - عابدين - القاهرة

ت : ٣٩٢٥٦٨٨

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م

تطلب مطبوعاتنا

من

مركز توزيع الكتاب الإسلامى

٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

القاهرة

المقدمــة

الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والصلاة والسلام على من أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله.

وبعد،،،

لما كانت الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ ولما كانت تلك المدينة المقدسة القدس تضم المسجد الأقصى وتتمتع بكثير من الفضائل والكرامة التي حبى الله بها تلك المدينة ومسجدها الأقصى بل إن الشام كلها قد جاء فضلها في القرآن والسنة.

ولما كانت القدس مغتصبة في يد اليهود الأنجاس أبناء القردة والخنازير.

ولما كان المسجد الأقصى سليبا أسيراً ينادي مَنْ يحرره ويطهره.

كان هذا الكتاب يذكر جملة من فضائل القدس والمسجد الأقصى وبلاد الشام كما جاء في القرآن والسنة.

وكانت المادة الأساسية هي موسوعة السيوطي المسماة اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، فقمت بالانتقاء والاختصار وحاولت جهدي في التبسيط وتجنب الضعيف والموضوع.

فكان هذا الكتاب سهلاً ميسراً لكافة القراء، بعيداً عن الاختصار المخل والإسهاب الممل.

ثم ضمنته ذكر بعض دروس من الإسراء والمعراج ثم خلاصة نتيجة هذه الدراسة وغيرها من المراجع والمصادر واستقراء كتب التاريخ القديم والحديث ومتابعة الأخبار وأجهزة الإعلام واستقراء كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ فكانت الخلاصة تحليلاً للشخصية اليهودية الإسرائيلية.

قيض الله للأقصى مثل صلاح الدين، ونصرنا على القوم الكافرين

الشيخ/ بكر محمد إبراهيم

أسماء المسجد الأقصى[1]

المسجد الأقصى المبارك له أسماء كثيرة وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، فهو المسجد الأقصى، ومسجد إيلياء، وبيت المقدس من القدس والقداسة أي التطهير أي يتطهر فيه من الذنوب، والبيت المقدس والشرق في سلام الملائكة فيه وأورشليم، وبيت إيل أي بيت الحرب، والزيتون.

فضائل بيت المقدس

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾ [الإسراء]

بارك الله تعالى حول المسجد الأقصى وأنبت الثمار وأجرى الأنهار وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)﴾ [البقرة]

فوعدهم الله أن يغفر لهم بسجدة يسجدوها.

وقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١)﴾ [المائدة] ولكنهم جبنوا عن دخولها والعماليق من العرب الكنعايين فيها.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣)﴾ [المعارج]

قيل إلى صخرة بيت المقدس.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ (٩٣)﴾ [يونس] قيل الشام وبيت المقدس.

---

(١) اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للسيوطي بتصرف تحقيق د/ أحمد رمضان أحمد ـ مركز تحقيق التراث.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق]

قيل ينادي من صخرة بيت المقدس. ومنها قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ [التين].

والتين الشام والزيتون بيت المقدس.

وقول الرسول ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا.

مسند أحمد حـ٣ ص ٥١، الأنس الجليل حـ١ ص٢٥٠، كنز العمال ص١٧٠ ح ٩٥٥).

وعن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قلت يارسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً قال: «المسجد الحرام» قلت ثم أي قال: «المسجد الأقصى» قال: قلت كم بينهما قال أربعون سنة قال فأيهما أدركت الصلاة فصل فهو مسجد.

وقال عبد الله بن عمر: بيت المقدس بنته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعمرته وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه ملك أو نبي ولعل جبهتك أن توافي جبهة ملك أو نبي.

وقال مقاتل بن سليمان: ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك مقرب.

قال مقاتل بن سليمان:

وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام في أرض بيت المقدس، ورد الله على سليمان ملكه في بيته المقدس وبشر الله زكريا بيحيى في أرض المقدس ونورت الملائكة على داود ببيت المقدس وسخر الله لداود الجبال والطير ببيت المقدس وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يقربون القرابين ببيت المقدس وتهبط الملائكة عليهم السلام كل ليلة ببيت المقدس وأوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء فى الصيف، وفاكهة الصيف فى الشتاء فى بيت المقدس وأنبت الله تعالى النخلة لها ببيت المقدس وولد عيسى عليه السلام ببيت المقدس ورفعه الله تعالى إلى السماء من بيت

المقـدس وأنزلت عليه المائـدة نهاراً من بيت المقـدس ويغلب يأجـوج ومأجـوج على الأرض كلها غـير بيت المقدس ويهلكهم الله تعـالى في أرض بيت المقدس وينظر الله تعالى في كل يوم بخير إلى بيت المقدس وأعطى الله تعالى البراق للنبي ﷺ فحمله إلى بيت المقدس، وأوصى إبراهيم وإسحق عليهـما السلام لما ماتا أن يدفنا في أرض بيت المقدس وأوصى آدم عليها لسـلام لما مات بأرض الهند أن يدفن في بيت المقدس ومـاتت مريم عـليهـا السـلام ببيـت المقدس وهاجـر إبراهيم عليـه السـلام إلى بيت المقدس.

وتكون الهـجرة فـي آخر الزمـان إلى بيت المقـدس ورفع التـابوت والسكينة من أرض بيت المقـدس. وصلى النبى ﷺ زمـانا إلى بيت المقـدس ورأى النبى ﷺ مالكا خـازن النار ليلة أسرى به ببـيت المقدس، وركب النبي ﷺ الـبراق إلى بيت المقدس وهبط به من السماء إلى بيت المقد س وأسرى به ﷺ إلى بيت المقدس.

والمحـشر والمنشـر إلى بيت المقدس ويأتى الله فـي ظلل من الغمـام والملائكة إلى بيت المقـدس وينصب الصـراط على جـهنم إلى الجـنة بأرض بيت المقـدس وتوضع الموازين يوم القيامة بـبيت المقدس وصفوف الملائكة يوم القيامـة ببيت المقدس وينفخ إسرافـيل يوم القيـامة في الصـور ببيت المقـدس ينادي أيتها الـعظام الباليـة واللحوم الممزقة والعروق المتـقطعة أخرجوا إلى حسابكم، وتنفخ فـيه أرواحكم وتجازون على أعمالكم .

ويتـفـرق الناس من بيت المقـدس إلى الجنة أو النار فـذلك قـوله تعـالى: يومـئـذ يتفـرقون، وبشّرَ زكـريا مريم عليهـا السلام ببيت المـقدس، وفهم الله سليـمان منطق الطير بـبيت المقدس وسـأل سليمـان ربه ملكاً لا ينبغي لأحـد من بعده فـأعطاه بيت المقدس والحوت الذي على ظهر الأرضين رأسـه في مطلع الشمس وذنبه في المغرب ووسطه تحت بيت المقدس.

ومن سـره أن يمشى في روضة من رياض الجنة فـليمش في صـخرة بيت المقـدس وشـدد الله لداود ملكه ببيـت المقدس وآلان له الحـديد ببـيت المقدس، وتقـبل الله من

امرأة عمران نذرها ببيت المقدس ووهب الله لداود ذنبه ببيت المقدس، وأيد الله تعالى عيسى بروح القدس ببيت المقدس وآتى الله الحكم ليحيى صبياً ببيت المقدس وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ويصنع العجائب ببيت المقدس .

ومن صلى في بيت المقدس فكأنما صلى في السماء الدنيا وتخرب الأرض كلها ويعمر بيت المقدس ويحشر الله الأنبياء كلهم إلى بيت المقدس ويحشر الله محمداً ﷺ إلى بيت المقدس، وأول ما انحسر ماء الطوفان من صخرة بيت المقدس، وسير الله الأنبياء كلهم إلى رسول الله ﷺ فصلى بهم في بيت المقدس وينفخ في الصور النفخة الثالثة من بيت المقدس، وينادي المنادي على صخرة بيت المقدس وتصف الملائكة حول بيت المقدس وتسحر النار فى بيت المقدس وباب السماء مفتوح في بيت المقدس وهزت النخلة لمريم عليها السلام فى بيت المقدس وتطير أرواح المؤمنين إلى أجسامهم فى بيت المقدس. اهـ ويمنع الدجال من دخول بيت المقدس.

●●●

بناء المسجد الأقصى

قال ابن إسحق: أصاب بني إسرائيل طاعون في زمن داود عليه السلام وهو داود بن أيشا من ذرية يهوذا بن يعقوب فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس يدعون الله تعالى ويسألون كشف البلاء عنهم فاستجاب الله لهم فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا وذلك لأحدعشر سنة خلت من ملكه وتوفى قبل أن يتم بناءه فأوصى إلى سليمان عليه السلام فبناه في ثمان سنين ولما فرغ من بنائه أطعم فيه بني إسرائيل اثنى عشر ألف ثور قيل أن سببه أن داود عليه السلام رأى الملائكة سالين سيوفهم يغمدونها ويرتقون في سلم من ذهب من الصخرة إلى السماء فقال داود عليه السلام هذا مكان ينبغي أن يبني فيه مسجد لله تعالى.

سليمان بن داود عليه السلام وبناء المسجد الأقصى:

عن كعب الأحبار قال: إن الله تعالى لما أوحى إلى سليمان عليه السلام أن ابن بيت المقدس جمع حكماء الإنس والجن وعفاريت الأرض وعظماء الشياطين وجعل منهم فريقاً يبنون وفريقا يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام وفريقا يغوصون في البحر، يخرجون منه الدر والمرجان وكان في الدر ما هو مثل بيضة النعامة، وبيضة الدجاجة ... الحديث.

وروى النسائي في سننه بسند صحيح عن عبد الله بن عمر ﵄ عن النبي ﷺ: أن سليمان عليه السلام ابن داود عليه السلام لما بنى مسجد بيت المقدس سأل الله تعالى خلال ذلك ثلاثاً سأل الله حكما يصادف حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد إلا للصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه.

وزاد ابن ماجة على هذه الرواية: فقال ﷺ أما الاثنين فقد أعطيهما وأرجو أن يكون أعطى الثالثة.

وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال على شرط الشيخين، ويوافق الحديث قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥)﴾ [ص]

دعاء سليمان عليه السلام بعد الفراغ من البناء:

قام سليمان عليه السلام على الصخرة وقال:

«اللهم أنت وهبت لي هذا الملك منًا منك وطولاً علي وعلى والدي من قبلي وأنت ابتدأتني وإياه بالنعمة والكرامة وجعلته حكما بين عبادك وخليفة في أرضك وجعلتني وارثه من بعده وخليفة في قومه وأنت الذي خصصتني بولاية مسجدك هذا وكرمتني به قبل أن تخلفني ذلك فلك الحمد على ذلك ولك المن ولك الفضل ولك الطول. اللهم أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال أن لا يدخل إليه مذنب لا يعمده إلا لطلب التوبة أن تتقبل منه توبته وتغفر له ولا يدخله خائف لا يعمده إلا لطلب الأمن أن تؤمنه من خوف وتغفر له ولا يدخله مقحط لا يعمده إلا لطلب الاستسقاء أن تسقي بلاده وأن لا تصرف بصرك عمن دخله حتى يخرج منه اللهم أن أجبت دعوتي وأعطيتني مسألتي فاجعل علامة ذلك أن تقبل قرباني فتقبل القربان.

دعاء آخر:

استعسر فتح الباب على سليمان بن داود عليه السلام فدعا بدعاء كان أبوه داود عليه السلام يدعو به:

«اللهم بنورك أهتديت وبفضلك استغنيت وبفضلك أصبحت وأمسيت ذنوبي بين يديك أستغفرك وأتوب إليك يامنان يامنان فلما قالها فتح له الباب.

وكان فراغ بناء بيت المقدس لمضى أحد عشر سنة من ملك سليمان عليه السلام لمضى خمسمائة وست وأربعين سنة من وفاة موسى عليه السلام ومن هبوط آدم إلى ابتداء سليمان في بيت المقدس أربعة آلاف وأربعمائة وست وسبعون سنة.

خراب بيت المقدس على يد بختنصر:

ولم يزل المسجد الأقصى على تلك الهيئة التي كانت من العجائب إلى أن خربه بختنصر في ستمائة ألف راية فدخل بيت المقدس بجنوده وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس واحتمل منه ثمانين عجلة ذهب وفضة فطرحه برومية وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ويقذفه ببيت المقدس وكان خروجه بعد قتل شيعا وفي زمن أرميا.

وبعد موت بختنصر رجع عـزير إلى الشام ووضع لبني إسرائيل التوراة من حفظه ثم قبض.

إعادة بناء الأقصى:

قال أبو عـبد الله البكري: ولم يزل بيت المقدس خـراباً إلى أن بناه ملك من ملوك الفرس يقال له كوشك.

وقـال البغـوي: بناه كوشك بن كـوشك بعـد تخريب بخـتنصـر بسبـعين سنة ثم تغلبت ملوك غسان على الشام بتمليك ملوك الروم لهم ودخولهم في نصرانيتهم إلى أن جاء الله تعـالى بالإسلام وملك الشام منهم جـبلة بن الأيهم ففتح الله تعـالى الشام على المسلمين في زمن عمـر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كان فتح بيت المقـدس صلحا على يد عمر رضي الله عنه واستمر في أيدي المـسلمين بيت المقدس من حين الفتح العمري إلى أن تغلب عليه الفرنج واقتلعوه من أيدي المسلمين واستولوا عليه في دولة الفاطميين إلى أن فتحه الله على يد سلطان الإسلام والمسلمين صلاح الدنيا والدين المظفر يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى.

صفة الصخرة التي ببيت المقدس:

قيل: إن مياه الأرض كلها تخرج من تحت صخرة ببيت المقدس وهي من عجائب الله تعالى في أرضـه فإنها صخرة في وسط المسـجد فقطعت من كل جهـة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه في أعلاها مـن جهة الغرب قدم النبي ﷺ حين ركب البـراق. وموضع أصابع الملائكة من الصـخرة وجهـة الغرب منفصل عن موضع القدم الشريف.

فضل الصلاة في بيت المقدس

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من زار عالما فكأنما زار بيت المقدس ومن زار بيت المقدس محتسبًا حرم الله لحمه وجسده على النار».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ : « من صلى في بيت المقدس غفرت ذنوبه كلها ».

وعن كعب قال:

١ - من أتى بيت المقدس فصلى عن يمين الصخرة وعن شمالها ودعى عن موضع السلسلة وتصدق بما قل أو كثر استجيب دعاؤه وكشف الله تعالى حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن سأل الله الشهادة أعطاه الله إياها.

وقال مكحول: «من صلى في بيت المقدس ظهرا وعصرا ومغرباً وعشاء ثم صلى الغداة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

وعن عبد الله بن يزيد عن مكحول قال:

«من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنة مدللا وزاره جميع الأنبياء في الجنة وغبطوه بمنزلته من الله عز وجل وإيما رفقة خرجوا يريدون بيت المقدس إلا شيعتهم عشرة آلاف من الملائكة يستغفرون الله لهم ويصلون عليهم ولهم مثل أعمالهم إذا انتهوا إلى بيت المقدس فلهم بكل يوم يقيمون فيه صلاة سبعين ملكا ... الحديث.

والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة..

وقال أبو القاسم إسماعيل بن عباس سمعت جرير بن عثمان وصفوان بن عمر يقولان: «الحسنة في بيت المقدس بألف والسيئة بألف.

وذلك لأن من ارتكب ذنباً في المسجد فقد هتك حرمة المسجد بالإضافة إلى ما ارتكبه من ذنب وهذا سبب مضاعفة السيئات في الأماكن المقدسة. ولأن الذنوب في هذه الأماكن الشريفة والأزمان الشريفة يزداد قبحاً وفحشاً لأن ذلك يدل على الجرأة على الله وقلة الخوف منه تعالى.

روى محمد بن إسحق بسنده إلى أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «من أهل بعمرة من بيت المقدس غفر الله له».

وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعمرة.

وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما: أحرم عام الحكمة (التحكيم) من بيت المقدس.

وعن يوسف بن مالك عن أبي عمارة قال: أهللت من بيت المقدس مع معاذ بن جبل ورجال فيهم كعب الأحبار فأهلوا بالعمرة.

ثواب من أسرج فيه:

عن ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله ﷺ أنها قالت: قلت يارسول الله أفتنا في بيت المقدس فقال: «أرض المحشر والمنشر ايتوه فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كألف صلاة قلنا يارسول الله فمن لم يستطع أن يتحمل إليه قال فمن لم يستطع أن يأتيه فليهد إليه زيتا ليسرج فيه قناديله فإن أهدى إليه زيتا كان كمن أتاه وروى قوله ﷺ: «من أسرج في بيت المقدس سراجا (مصباحا) لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام ضوءه في المسجد».

في ذكر الصخرة

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: المياه العذبة والرياح اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس.

وعن أبي ابن كعب في قوله تعالى: ﴿ **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ٧١)، قال الشام وما من ماء عذب إلا ويخرج من تحت الصخرة التي ببيت المقدس.

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال:

«أنزل الله تعالى من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار سيحون وهو بحر الهند وجيجون وهو بحر بلخ ودجلة والفرات وهو بحر العراق والنيل وهو نيل مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجتها على جناحي جبريل عليه السلام واستودعها الجبال وأخرجها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشتهم وذلك قوله تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الأرض**﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام فرفع من الأرض القرآن والعلم والحجر من ركن البيت ومقام إبراهيم عليه السلام وتابوت موسى عليه السلام بما فيه وهذه الأنهار الخمسة (لم يذكر اسم النهر الخامس) يرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى: ﴿**وإنا على ذهاب به لقادرون**﴾ فإذا ارتفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها الدين والدنيا.

أخبار السلسلة

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما الصخرة التي ببيت المقدس إنما كانت لبني إسرائيل طشت فيه سلسلة وكان في الصخرة ثقب وكانوا يعلقون به السلسلة وهي في وسط الطشت ثم يقربون قربانهم فما تقبل منه أخذ وما لم يتقبل منه ألصق إلى الأرض ولبسوا المسوح (الجلود) إلى مثلها.

وقال علي ابن أبي طالب: ما كان الناس قط أحوج إلى السلسلة منهم اليوم قيل له وما السلسلة قال سلسلة أعطاها الله داود عليه السلام فيها فصل الخطاب لا يأتيها رجلان إلا نالها المحق منهما وإن كان قصيرًا. فاستودع رجل رجلاً لؤلؤًا، أو قال ذهبا فأخذ عصا فنقبها وجعل اللؤلؤ فيها أو قال فسبك الذهب وجعله فيها وجحد صاحبها وجاء إلى داود عليه السلام فقال اذهبوا بهما إلى السلسلة فقال الرجل: اللهم إن كنت تعلم أنى دفعت إليه لؤلؤًا أو قال: الذهب فجحدنيه فاسألك أن أنالها فنالها فقال الآخر للأول امسك عصاى حتى أحلف، ودفع إليه العصا الوديعة وهو لا يعلم ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنى دفعت إليه وديعته فاسألك أن أنالها فنالها فقال داود عليه السلام يا رب ما هذا؟ نالها الظالم والمظلوم فأوحى الله تعالى أن ماله كان فى العصا التى دفعها إليه قال ورفعت السلسلة من حينئذ.

وقيل كانت السلسلة آية من آيات النبى داود عليه السلام وكان إذا حكم بين اثنين من بنى إسرائيل بحكم الله سأل الله تعالى أن يريه برهانًا يعرف الصادق من الكاذب فأنزل الله سلسلة من نور من السماء معلقة فى الموضع الذى عند صخرة بيت المقدس بين السماء والأرض فإذا حكم بحكم بعث ناسا إلى الموضع الذى فيه السلسلة فمن كان كاذبًا لم ينلها فلما وقع المكر بين الناس وخبثت البواطن فارتفعت السلسلة من ذلك الوقت وهذه السلسلة كانت من العجائب وكانت معلقة بين السماء والأرض شرق الصخرة مكان قبة السلسلة الموجودة الآن وهى التى بناها عبدالملك بن مروان.

إسراء النبى ﷺ
إلى بيت المقدس

روى البيهقى فى دلائل النبوة من حديث حبيش بن ابن نفير قال: حدثنا شداد بن أوس قال: قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك؟ قال ﷺ : « صليت بأصحابى العتمة بمكة مغتمًا [١] فأتانى جبريل بدابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فاستصعب على فسارها [٢] فى أذنها ثم حملنى عليها فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها حتى بلغنا أرضا ذات نخل فأنزلت فقال لى صل فصليت ثم قال: أتدرى أين صليت؟ قلت: الله أعلم قال: صليت بمدين صليت عند صخرة موسى ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضًا بدت لنا قصورًا فقال: أنزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت قلت: الله أعلم . قال: ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم.

ثم انطلق بى حتى دخلنا المدينة من بابها اليمانى فاتجه قبلة المسجد فربط فيها الدابة ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر فصليت فى المسجد ما شاء الله فأخذنى العطش أشد ما أخذنى فأتيت بإنائين فى أحدهما لبن والآخر عسل أرسل بهما جميعًا فعدلت بينهما ثم هدانى الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت منه حتى فرغت جنبى ، وبين يدى شيخ متكئ على متكأ له فقال: أخذ صاحبك القطرة إنه ليهدى ثم انطلق بى حتى أتينا الوادى الذى فى المدينة وإذا جهنم تتكشف عن مثل الروابى قلت: يا رسول الله كيف وجدتها قال: مثل الحمة السخنة ثم انصرف بى فمررنا بعير من قريش بمكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرًا لهم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة فأتانى أبو بكر فقال: يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمستك فى مكانك فلم أجدك فقال: أعلمت أنى أتيت بيت المقدس الليلة فقال يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لى قال ففُتح لى صراطا كأنى أنظر إليه لا يسألنى أحد عن شيء إلا أنبأتهم عنه فقال أبو بكر: أشهد

---

(١) فى عام الحزن الذى توفى فيه أبو طالب وخديجة.

(٢) حدثها سرًا.

أنك رسول الله. فقال المشركون: انـظروا إلى ابن أبى كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة فقال: إن من آية ذلك أنى مررت بعيـركم بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيرا لهم وأنهم ينزلون اليوم بكذا وكـذا ويأتونكم يوم كذا وكذا أمنهـا عليه مسح أسـود عليه غرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس يـنظرون فما مر عليهم قريبًا من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذى وصفه رسول الله ﷺ.

وروى من طريق آخر أن جبريل عليه السلام قـام أمامه ﷺ حتى كان من شامى الصخـرة فأذن جـبريل عليـه السلام ونزلت الملائكة من السـماء وحشـر الله المرسلين وأقام جبريل عليه السلام ونزلت الملائكة من السماء والمرسلين ثم تقدم به إلى الكعبة التي عن يمين الصخـرة فوضعت له مرقـاة من ذهب ومرقاة من فضـة وهو المعراج ثم عرج جـبريل عليه السـلام والنبى ﷺ إلى السماء فـاستفـتح جبريل عليـه السلام فقـيل: من أنت؟ قال: جبـريل قيل: ومن معك؟ قـال: محمـد فقيل: وقـد بعث إليه ففتح لنا فـإذا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عـرج بنا إلى السماء الثانية واسـتفـتح جبريل فـقيل: من أنت؟ قال: جبريل ومن مـعك قال: محمد قيل قـد بعث إليه قال: نعم قـد بعث إليه فـفتح لـنا فإذا أنا بابنى الخـالة عـيسى بن مـريم ويحيى بن زكـريا صلوات الله عليهما فرحبا بى ودعيا لى بخيـر ثم عرج بى إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل ومن معك قال: محمد قيل: وقد بعث إليه قال: قد بعث إليه ففتح فإذا أنا بيـوسف ﷺ وإذا هو قد أعطى شطر الحسن قال فرحب بى ودعا لى بخـير ثم عـرج بنا إلى السماء الـرابعة فاسـتفتح جـبريل فـقيل من هو؟ فقال: جبريل وقيل: من معك؟ قال: محمد قال وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه.

ففـتح لنا فإذا أنا بإدريس فـرحب بى ودعا لى بخـير قـال تعالى: ﴿**ورفعناه مكانا عليا**﴾ ثم عرج إلى السماء الخامسة فاستـفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: هذا جبريل قيل: ومن مـعه قـال: محـمد قيل وقـد بعث إليه؟ قـال: قد بعث إليـه ففتـح لنا فإذا بهارون ﷺ فرحب بى ودعـا لى بخير ثم عرج بنا إلى السـماء السادسة فاسـتفتح جبريل قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بى إلى السـماء السابعة فـاستفتح جـبريل قيل: ومن هذا؟ قال جـبريل.

قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلا فى يوم القيامة.

ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال وقد غشيها من أمر الله ما غشى فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلى ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فإنى بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربى فقلت: يا رب خفف على أمتى فحط عنى خمسا فرجعت إلى موسى فقلت: حط عنى خمسا. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فسله التخفيف وإنى لم أزل أرجع بين ربى تعالى وبين موسى حتى قال:

يا محمد انهض خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت، له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فإن عملهاكتبت سيئة واحدة قال: فنزلت حتى أتيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قال رسول الله ﷺ: فقلت قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه .

قال كعب لصفية زوج النبى ﷺ يا أم المؤمنين صلى ها هنا فإن النبى ﷺ يأم المؤمنين حين أسرى به إلى السماء صلى هنا وأشار إلى القبة القصوى دبر الصخرة.

•••

وصف المسجد الأقصى من الداخل

المحاريب:

محراب عمر بن الخطاب، ومحراب مريم وهو موضع متعبدها. ويعرف بمهد عيسى عليه السلام، ومحراب معاوية وهو المحراب اللطيف الذى هو داخل مقصورة الخطابة وبينه وبين المحراب الكبير المنبر الشريف، وفى داخل المسجد الأقصى وخارجه مما هو داخل السور ومحاريب كثيرة وضعها الناس، وفيه الموضع الذى خرقه جبريل عليه السلام وربط فيه البراق خارج باب النبى ﷺ ، ومنها الصخور التى فى مؤخر المسجد مما يلى باب الأسباط وعندها الموضع الذى يقال له كرسى سليمان الذى دعا عنده لما فرغ من بناء المسجد فمن اجتهد فى الدعاء والتوبة وشكر الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه كما وردت الأحاديث بذلك.

الأبواب:

أولها باب الرحمة وهو فى المسجد من جملة السور ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ [سورة الحديد] فإن الوادى الذى وراءه وادى جهنم وهو من داخل الحائط مما يلى المسجد والباب المذكور فى القرآن مما يلى وادى مغلوق لا يفتح إلى أن يأذن الله عز وجل بفتحه والباب الذى من داخل الحائط مما يلى المسجد مقصود بالزيارة والدعاء ويسأل الله عز وجل فى ذلك الموضع الجنة ويستعاذ به من النار.

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : من سأل الله تعالى الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة ومن استعاذ من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار.

وهو أى باب الرحمة فى مؤخر الجامع مما يلى ا لصخور التى هناك، والمحراب الذى يقال له محراب داود عليه السلام.

وعند باب التوبة بين باب الرحمة وباب الأسباط مسكن الخضر وإلياس عليهما السلام كذا فى كتاب الأنس وفى فضائل بيت المقدس للحافظ أبى بكر الواسطى

الخطيب بأن مسكن الخضر ببيت المقدس فيما بين باب الرحمة إلى باب الأسباط قال وهو يصلى كل جمعة فى بيت المقدس: وعن علي بن عبدالسلام عن أبيه قال: سمعت أبا محمد بن عبدالسلام يقول: الباب النحاسى الذى على باب المسجد باب داود الذى تخرج منه إلى سوق سليمان، والباب الذى يعرف بباب حطة هو الباب الذى كان بأريحا لما خربت فنقل الباب إلى المسجد قال إنما سمى باب حطة لأن الله تعالى أمر بنى إسرائيل أن يدخلوا منه ويقولوا حطة.

وقال مقاتل: إنهم أصابوا خطية بإبائهم على موسى دخول الأرض المقدسة التي فيها الجبارين فأراد الله أن يغفر لهم.

وعن عبدالرحمن منصور بن ثابت عن أبيه عن جده قال: كان فى زمن بنى إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنبًا كتب على بابه أوجبهته خطيئته أو على عتبة داره، ألا إن فلانا قد أذنب ليلة كذا فيبعدونه ويدحرونه. فيأتى باب التوبة وهو الذى عند محراب مريم عليها السلام الذى كان يأتيها رزقها منه، فيبكى ويتضرع حينا فإن تاب الله عليه محى ذلك عن جبينه فيقربه بنو إسرائيل وإن لم يتب عليه أبعدوه ودحروه.

باب شرف الأنبياء:

وهو يعرف بباب الدويدار وهو من جهة المسجد من الشمال وباب الغوانمة وهو الذى عند النيابة فى أول جهة المسجد الغربية ويعرف هذا الباب قديمًا بباب الخليل.

باب الناظر:

ويعرف بباب ميكائيل وباب الحديد، ويعرف قديمًا بأرغون الكاملى صاحب المدرسة الأرغونية التى على يسار الخارج منه.

باب القطانين: فتحه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون.

وباب الساقية: ولما عمر علاء الدين البصير الميضاة المعدة للرجال عمر هذا الباب.

وباب السكنية: وهو مجاور لباب المدرسة المعروفة بالبلدية وهو مجاور للمنارة القبلية والمدرسة الشريفية السلطانية الأشرفية من جهة الشمال .

باب السلسلة وباب السكنية متحدان.

وباب السلة وباب داود

باب المغاربة: سمى بذلك لمجاورته مقام المغاربة التى تقام فيه الصلاة الأولى ومحل هذا الباب آخر الجهة الغربية من المسجد ويسمى هذا الباب باب النبى.

طول المسجد الأقصى:

وقال الحافظ بن عساكر: وطول المسجد الأقصى سبعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعًا بذراع الملك أ.هـ، وعرضه أربعمائة خمسة وخمسون ذراعًا.

وروى أبو بكر بن أبى مريم عن عطية بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: ليدخلن الجنة رجل من أمتى يمشى على رجليه وهو حى فقدمت رفقة إلى بيت المقدس يصلون فيه فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانطلق رجل من بنى تميم يقال له شريك بن حباثة يستقى فوقع دلوه فى الجب فنزل ليأخذه فوجد بابا فى الجب يفتح إلى جنان فدخل من الباب إلى الجنان يمشى فيها وأخذ من شجرها ورقة فجعلها خلف أذنه ثم خرج إلى الجب فارتقى فأتى صاحب بيت المقدس فأخبره بما رأى من الجنان ودخوله فيها فأرسل معه إلى الجب فنزل الجب ومعه أناس فلم يجدوا بابا ولم يصلوا إلى الجنان فكتب بذلك إلى عمر فكتب عمر يصدق حديثه فى دخول رجل من هذه الأمة الجنة يمشى على قدميه وهو حى، وكتب عمر ان انظروا إلى الورقة فإن هى يبست وتغيرت فليست هى من ورق الجنة فإن الجنة لا يتغير شيء منها وذكر فى حديثه أن الورقة لم تتغير.

العيــون:

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل اختار من المدائن أربعة مكة وهى البلدة والمدينة وهى النخلة وبيت المقدس وهى الزيتونة ودمشق وهى التينة واختار من الثغور أربعة إسكندرية مصر وقزوين بخراسان وعبادان العراق وعسقلان الشام، واختار من العيون أربعة يقول فى محكم كتابه العزيز: ﴿ **فيها عينان تجريان** ﴾ ﴿ **فيهما عينان نضاختان** ﴾ أما اللتان تجريان فعين بيسان وعين سلوان. وأما النضاختان فعين زمزم وعين عكا، واختار من الأنهار أربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات.

وعن أم عبيدة بنت خالد بن معدان عن أبيها أنه قال: زمزم وعين سلوان التى ببيت المقدس من عيون الجنة. ا.هـ.

قال سعيد بن عبدالعزيز: كان فى زمن بنى إسرائيل فى بيت المقدس عين عند عين سلوان وكانت المرأة إذا قُذفت أتوابها إليها فشربت منها فإن كانت بريئة لم يضرها وإن كانت غير بريئة طعمت فماتت، فلما حملت مريم عليها السلام أتوابها وحملوها على البغلة فعثرت بها فدعت الله تعالى أن يعقم رحمها فعقمت من يومئذ فلما أتتها شربت منها فلم تر إلا خيرًا فدعت الله تعالى أن لا يفضح بها امرأة مؤمنة فغارت تلك العين من يومئذ.

وعن صفوان بن عمرو قال: مكتوب فى التوراة: ببيت المقدس كأس من ذهب مملوءة عقارب. قال الفقيه أبو المعالى المشرف ويعنى بالعقارب بنى إسرائيل الذين كانوا يعملون بمعاصى الله تعالى حتى عمهم من البلاء ما عمهم وليس لهذه الأمة شيء من ذلك.

من عجائب بيت المقدس

وكان فى بيت المقدس من العجائب ما لا يوجد فى غيره منها ما صنعه الضحاك ابن قيس الأزدى. قال أهل العلم لما توجه ذو القرنين إلى بيت المقدس وقد دانت له الأرض وخضعت له الملوك فرأى تلك العجائب التى صنعها الضحاك بن قيس فى الزمان الأول، ومنها أنه صنع نارًا عظيمة اللهب من لم يطع الله تلك الليلة أحرقته تلك النار، ومنها أن من رمى بيت المقدس بنشابة رجعت إليه، ومنها أنه وضع كلبًا من خشب على باب بيت المقدس فمن كان عنده شيء من السحر إذا مر بذلك الكلب نبح عليه، فإذا نبح عليه نسى ما كان عنده من السحر، ومنها أنه وضع بابا فمن دخل منه إذا كان ظالمًا من اليهود والنصارى ضغطه ذلك الباب حتى يعترف بظلمه، ومنها أنه وضع عصا فى محراب بيت المقدس فلا يقدر أحد أن يمس تلك العصا إلا من كان من أولاد الأنبياء عليهم السلام ومن كان سوى ذلك احترقت يده.

ومما يلحق بتلك العجائب ما صنعه سليمان عليه السلام وذلك أنه جعل تحت الأرض بركة وجعل فيها ماء وكان على وجه ذلك الماء بساط ومجلس رجل عظيم أو قاض جليل فمن كان على باطل إذا وقع فى ذلك الماء غرق ومن كان على حق لم يغرق، فلما صار الإسكندر [1] إلى بيت المقدس ورأى ما صنعه الضحاك من العجائب أوحى الله تعالى إليه أنك ميت وإن أجلك قد حضر.

•••

(١) إسكندر ذو القرنين، وليس الإسكندر بن فيلبس المقدونى الأول كان مؤمنًا والثانى كان كافرًا.

فتح بيت المقدس
على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه

روى صاحب مثير الغرام بسنده إلى الوليد قال: أخبرنى شيخ من آل شداد بن أوس الأنصارى أنه سمع أباه يحدث عن جده شداد رضى الله عنه أنهم لما فرغوا من قتال اليرموك سار جماعة من المسلمين إلى ناحية فلسطين والأردن وأنه كان فيمن سار قال فحاصرنا مدينة المقدس فتعذر علينا فتحها حتى قدم علينا ابن الخطاب رضى الله عنه فى أربعة آلاف راكب فنزل على جبل بيت المقدس الشرقى يعنى جبل طور زيتا، ونحن على حصارها محيطون بها .

فانحدر علينا من أصحاب عمر رضى الله عنه قوم يقاتلون بنشاط وأحدث لنا مجيئهم وقدوم عمر نشاطًا رجونا بذلك الفتح فقاتلناهم مليا إذ أقبل وأشرف علينا منهم مشرف يسأل الأمان حتى يكلمنا ففعلنا فقال: ما هذا العسكر الذى نزل فقلنا هذا عسكر أمير المؤمنين، قال: وأرسل إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمرنا بالكف عن القتال، وقال: إن رسول الله ﷺ أخبرنى أنى أفتحها بغير قتال وأشرف علينا رسول بطريقها يسأل الأمان لرسوله ليبلغ رسالته إلى عمر ففعلنا فأتاه بالترحيب، وقال إنا سنعطى بحضوركم ما لم نكن نعطيه لأحد دونك وسأله أن يقبل منه الصلح والجزية ويعطيه الأمان لصاحبه ليتولى مصالحته ومكاتبته فأنعم عليه وخرج إليه بطريقها فى جماعة فصالحهم وأشهدنا على ذلك .

فقال الوليد: فحدثنى من الجند عن عطاء الخراسانى إن المسلمين لما نزلوا على بيت المقدس قال لهم رؤساؤهم إنا قد أجمعنا على مصالحتكم، وقد عرفتم منزلة بيت المقدس وإنه المسجد الأقصى الذى أسرى بنبيكم إليه ونحن نحب أن يفتحها ملككم، وكان الخليفة إذ ذاك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فبعث المسلمون إليه وفدا وبعث الروم وفدا مع المسلمين حتى أتوا المدينة فجعلوا يسألون عن أمير المؤمنين فقال الروم لترجمانهم: عمن يسألون. فقال: عن أمير المؤمنين. فاشتد عجبهم وقال هذا الذى غلب الروم وفارس وأخذ كنوز كسرى وقيصر وليس له مكان يعرف.

بهذا غلب الأمم فوجدوه قد ألقى نفسه حين أصابه الحر نائمًا فازدادوا تعجبًا فلما قرأ كتاب أبي عبيدة وفيه أتى بيت المقدس وفيها اثنا عشر ألفا من الروم وخمسون ألفًا من أهل الأرض فصالحهم على أن يسيروا الروم منها وأجلهم ثلاثة أيام فمن قدر عليه بعد ثلاث فقد بريت منه الذمة وآمن من بها من أهل الأرض وافرض عليهم الجزية على القوى خمسة دنانير وعلى الذى يليه أربعة دنانير وعلى الذى يليه ثلاثة وليس على كبيرنا من شيء، ولا على طفل ثم أتى محراب داود عليهالسلام فقرأ ﴿ص﴾.

وروى أن أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه أتى إلى الأرض فعسكر بها وبث الرسل إلى أهل إيليا وسكانها وكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم من أبى عبيدة ابن الجراح إلى بطارقة أهل إيليا وسكانها سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله تعالى ورسوله. أما بعد فإنى أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فإذا شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخوانا، وإن أبيتم فاقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون وإن أنتم أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حبًا للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبدًا حتى أقتل مقاتليكم، وأسبى ذراريكم.

قال: ثم إن أبا عبيدة بن الجراح انتظر أهل إيليا فأبوا أن يأتوه وأن يصالحوه فأقبل سائرا حتى نزل بهم فحاصرهم محاصرة شديدة وضيق عليهم فخرجوا إليه ذات يوم ليقاتلوا المسلمين ثم إن المسلمين سدوا عليهم من كل جانب فقاتلوهم حتى دخلوا حصنهم وكان الذى ولى قتالهم يومئذ خالد بن الوليد رضى الله عنه ويزيد بن أبى سفيان كل رجل منهم فى جانب.

قالوا: فبلغ ذلك سعيد بن يزيد وهو على أهل دمشق فكتب إلى أبى عبيدة بن الجراح: بسم الله الرحمن الرحيم إلي أبى عبيدة بن الجراح من سعيد بن يزيد سلام عليك فإنى أحمد الله تعالى الذى لا إله إلا هو أما بعد: فإنى لعمرى ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسى ولا على ما يدنينى من مرضات الله تعالى فإذا أتاك كتابى هذا فابعث إلى عملك من هو أرغب فيه وأعلمه ما به بذلك فإنى قادم عليك

وشيكا إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قالوا: فقال أبو عبيدة حين جاء الكتاب: لنتركها خلوقا ثم دعا بيزيد بن أبي سفيان فقال له أكفني دمشق. فقال له يزيد: أكفيكها إن شاء الله تعالى وسار إليها فولاها له.

قالوا: ولما حصر أبو عبيدة أهل إيليا ووجدوا أنه غير مقلع عنهم ولم يجدوا لهم طاقة بحربه فقالوا نحن نصالحك. قال: فإني قابل منكم قالوا: فأرسل إلى خليفتكم عمر فيكون هو الذى يعطينا هذا العهد ويكتب لنا الأمان فقبل أبو عبيبدة ذلك وهم أن يكتب وكان أبو عبيدة رضى الله عنه قد بعث معاذا على الأردن، ولم يكن سار بعد فقال معاذ لأبى عبيدة :أتكتب لأمير المؤمنين تأمره بالقدوم عليك فلعله يقدم ثم يأبى هؤلاء الصلح فيكون مجيئه فضلاً وعناء فلا تكتب إليه حتى يوثقوا إليك واستحلفهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة إن أنت بعثت إلى أمير المومنين.

فقدم عليهم وأعطاهم الأمان علي أنفسهم وأموالهم وكتب لهم بذلك كتابا ليقبلهم وليؤدون الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الشام فبعث أبو عبيدة إليهم بذلك فأجابوا إليه فلما فعلوا ذلك كتب أبو عبيدة إلى عمر رضى الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أبى عبيدة بن الجراح سلام عليك فإنى أحمد الله تعالى إليك الذى لا إله إلا هو.

أما بعد: فإنا أقمنا على أهل إيليا وظنوا أن لهم فى مطاولتهم فرجًا فلم يزدهم الله إلا ضيقًا ونقصًا وهزلاً وذلاً. فلما رأوا ذلك سألوا أن يقدم أمير المؤمنين فيكون هو الموثق لهم والمكاتب. فخشينا أن يقدم أمير المؤمنين فيغدر القوم ويرجعوا فيكون سيرك أصلحك الله عناء وفضلاً فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم ليقبلن وليؤدون الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ففعلوا فإن أنت رأيت أن تقدم فافعل فإن فى سيرك أجرًا وصلاحًا أتاك الله تعالى رشدك ويسر أمرك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلما قدم الكتاب على عمر رضى الله عنه دعا رؤساء المسلمين إليه وقرأ عليهم كتاب أبى عبيدة رضى الله عنه واستشارهم فى الذى كتب إليه فقال له عثمان رضى الله عنه: إن الله تعالى قد أذلهم وحصرهم وضيق عليهم وهم فى كل يوم يزدادون

نقصًا وهزلاً وضيقًا ورعبًا. فإن أنت أقمت ولم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخفًا ولشأنهم حاقرًا غير معظم فلا يلبثون إلا قليلاً حتى ينزلوا من الحكم ويعطوا الجزية.

فقال عمر رضى الله عنه: ماذا ترون عند أحدكم رأى غير هذا الرأى فقال علي بن أبا طالب رضى الله عنه: نعم عندى غير هذا الرأى قال: فما هو؟ قال: إنهم قد سألوا المنزلة التى فيها الذل لهم والصغار وهو على المسلمين فتح ولهم فيه عز يعطونكها الآن فى العاجل فى عافية وليس بينك وبين ذلك إلا أن تقدم عليهم وفى ذلك القدوم عليهم الأجر فى كل ظماء ومخمصة وفى كل واد وفى كل نفقة حتى تقدم عليهم فإذا أنت قدمت عليهم كان الأمن والعافية والصلاح والفتح ولست آمن إن ياسوا من قبولك الصلح منهم أن يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدو لنا أو يأتيهم منهم مدد فيدخل على المسلمين بلاء ويطول بهم حصار فتصيب المسلمين من الجهد والجزع ما يصيبهم ولعل المسلمين يرنون من حصنهم فيرشقونهم بالنشاب ويقذفونهم بالمناجيق فإن أصيب بعض المسلمين تمنيتهم أنكم أفتديتم قتل رجل واحد من المسلمين بمسيرك إلى منقطع التراب وكان لذلك من إخوانه أهلاً.

فقال عمر رضى الله عنه قد أحسن عثمان النظر فى مكيدة العدو وأحسن على النظر لأهل الإسلام سيروا على اسم الله تعالى فإنى ساير فخرج فعسكر خارج المدينة ونادى فى الناس بالعسكر والمسير فعسكر العباس بن عبدالمطلب بأصحاب النبى ﷺ ووحدة قريش والأنصار رضى الله عنهم والعرب حتى إذا تكامل عنده الناس استخلف على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه وساروا.

فأقبل على المسلمين بوجهه وقال: الحمد لله الذى أعزنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان ورحمنا بنبيه محمد ﷺ فهدانا من الضلالة وجمعنا به بعد الشتات وألف بين قلوبنا ونصرنا على الأعداء ومكن لنا فى البلاد وجعلنا إخوانا متحابين فأحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة وسلوه المزيد من الراغبين، ويتم نعمته على الشاكرين قالوا: وكان لا يدع هذا القول فى كل غداة فى سفره كله فلما أتى من الشام عسكر وأقام يعسكر حتى قام إليه من تخلف من العسكر فما هو إلا أن طلعت الشمس فإذا الرايات والرماح والجنود قد أقبلوا على الخيول يستقبلون عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

فأقبل أبو عبيدة إلى عمر وأقبل عمر إلى أبى عبيدة فلما دنى إلى أبى عبيدة مد يده إلى عمر ليصافحه فمد عمر يده فأخذها أبو عبيدة وأهوى ليقبلها يريد أن يعظمه فى العامة فأهوى عمر إلى رجل أبى عبيدة ليقبلها فقال أبو عبيدة «مه» يا أمير المؤمنين تنحى فقال عمر: مه يا أبا عبيدة فتعانق الشيخان ثم ركبا يتسايران وسار الناس أمامهما وزعم بعض أهل الشام أنهم تلقوا عمر ببرذون(١) وثياب بيض وكلموه أن يركب البرذون ليراه العدو أهيب له عندهم وأن يلبس الثياب ويطرح الفروة فأبى ثم ألحوا عليه فركب البرذون بفروته وثيابه فهملج البرذون به وخطام ناقته بعد فى يده فنزل وركب راحلته وقال: لقد غيرنى هذا حتى خفت أن أتكبر وأن أنكر نفسى فعليكم يا معشر المسلمين بالقصد وبما أعزكم الله عز وجل به.

وروى طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر رضى الله عنه الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع «جرموفيه» (نعل يشبه الخف) فأمسكها بيده وخاض الماء ومعه بعيره فقال أبو عبيدة: لقد صنعت اليوم صنيعًا عظيمًا عند أهل الأرض. فضحك عمر ولكزه فى صدره وقال: لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام ومهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله تعالى.

وعن يوسف عن أبى حازم عن عثمان عن خالد وعبادة قال: صالح عمر بن الخطاب رضى الله عنه أهل إيليا بالجابية فكتب لهم كتابًا فيه الصلح لكل كورة كتابا واحدًا فلأهل إيليا: بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأمان لأهل إيليا

هذا ما أعطى عبدالله أمير المؤمنين عمر أهل إيليا من الأمان أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم مقيمها وبريها وسائر ملتها إنها لا تسكن كنائسهم ولا يهدم ولا ينقض منها ولا من جزها ولا من صليبهم ولا يضار أحد منهم ولا يمكن بإيليا أحد من اليهود وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم فهو

---

(١) البرذون نوع من الخيول يتبختر فى مشيته.

آمن مثل ما ما على أهل إيليا من الجزية، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعتهم وصليبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وعلى صليبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أجل الأرض فمن شاء منهم فقدر عليهم مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أرضه وإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله تعالى وذمته وذمة رسوله ﷺ وذمة الخلفاء الراشدين وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، ورواه أيضًا بسنده من طريق آخر عن خالد بن أبي مالك عن أبيه قال: لما نزل المسلمون مقامهم عليها بعثوا إليهم أن افتحوها لنا على أن نؤمنكم على دمائكم وأموالكم فبعثوا إليهم إنا لا نثق بأمانكم إلا أن يأتينا خليفتكم عمر بن الخطاب فإنه يذكر لنا عن فضل وخير وصلاح فإن جاء وأمننا وثقنا بأمانه وفتحناها لكم.

قال: فكتبوا إلى عمر يخبرونه بذلك فركب عمر من المدينة حتى قدم عليهم وظهر على أماكن لم يكونوا ظهروا عليها قبل ذلك وظهروا يومئذ على كرم(١) كان في أيديهم لرجل منهم له ذمة مع المسلمين فيه عنب فجعلوا يأكلونه فأتى الذمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له: أمير المؤمنين كان في أيديهم ولم يعرضوا له وأنا رجل لي ذمة مع المسلمين فلما ظهر عليه المسلمون وقعوا.

قال: فدعى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببرذون له فركب عريانا من العجلة ثم خرج يركض في عراض المسلمين.

وكان أول من لقيه أبو هريرة يحمل فوق رأسه عنبًا فقال: وأنت أيضًا يا أبا هريرة فقال أمير المؤمنين: أصابتنا مخمصة(٢) شديدة وكان أحق من أكلنا من ماله من قاتلنا من ورائه. قال: فتركه عمر ومضى حتى أتى الكَرْم فنظر فإذا الناس قد أسرعوا فيه فدعى عمر الذمي وقال له كم كنت ترجو من غلة لكرمك هذا فقال كذا وكذا وسمى له قال فخلى سبيله ثم أخرج عمر الثمن الذي سماه وأعطاه إياه ثم أباحه للمسلمين.

---

(١) الكَرْم: شجرة عنب. (٢) مخمصة: جوع.

وعن عبدالرحمن بن غنم قال: كتبت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وأموالنا وذرارينا وأهل ملتنا وشرطنا لكم علينا وعلى أنفسنا أن لا نحدث فى مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنية ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نمحى ما كان فى خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا أن ينزل بها أحد من المسلمين فى ليل أو نهار وإن نوسع أبوابها للمار وابن السبيل، وأن ينزل من يريد من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نأوى فى منازلنا ولا كنائسنا جاسوسًا ولا نكتم غشًا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركًا ولا نمنع أحدًا من ذوى قربانا الدخول فى الإسلام إن أراده وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم فى مجالسنا إذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم فى شىء من لباسهم فى قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فراق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئًا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وأن نجزّ مقادم رءوسنا، وأن نلتزم زينا حيث ما كنا وأن نشد زنانيرنا على أوساطنا ولا نظهر الصليب على كنائسنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا فى شىء من طرق المسلمين ولا فى أسواقهم ولا نضرب فى كنائسنا إلا ضربًا خفيا، ولا نرفع أصواتنا مع أمواتنا ولا نظهر النيران معهم فى شىء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، ولا نطلع عليهم فى منازلهم.

قال: فلما أتيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالكتاب زاد فيه: وألا نضرب أحدا من المسلمين شرطنا لكم ذلك فى أنفسنا وأهل ملتنا وقد قبلنا عليه الأمان فإن نحن خالفنا شيئا مما شرطناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم ما حل من أهل المعاندة والشقاق.

ورواه الإمام البيهقى وغيره وله طرق جيدة إلى عبدالرحمن بن غنم استقصاها القاضى أبو محمد دزين فى جزء جمعه.

وقد اعتمد أئمة الإسلام هذه الشروط وعمل بها الخلفاء ا لراشدون ورواه ابن عمر رضى الله عنه عن نافع عن مسلم أن عمر أمر فى أهل الذمة أن يجزوا نواصيهم

ولا يركبوا كما يركب المسلمون، أن يوثقوا المناطق أى الزنانير.

قال صاحب مثير الغرام: وكان الفتح فى سنة ست عشرة من الهجرة فى ربيع الأول، وروى الحافظ أبو محمد القاسم بسنده إلى عثمان وأبى حارثة قالا: فتحت فلسطين وأرضها على يد عمر فى ربيع الأول سنة ست عشرة، وروى عن إسحاق ابن بشر قال: خرج عمر إلى الشام تلك السنة وهى ست عشرة فنزل الجابية وفتحت عليه إيليا وهى مدينة الفرس، وحدث عن الأعلى بن سهرانة قرأه فى كتاب أبى عبيدة قال: فتحت الفرس سنة سبع عشرة.

عمر رضى الله عنه يصلى ويكنس القمامة:

روى أبى شيبان قال: حدثنى عبيد بن آدم قال: سمعت عمر يقول لكعب (كعب الأحبار) أين ترى أن أصلى قال: إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكأن القدس كلها بين يديك يعنى المسجد الحرام فقال: ضاهيت اليهودية ولكن أصلى حيث صلى رسول الله ﷺ ليلة أسرى به فتقدم إلى قبلة المسجد فصلى ثم جاء فبسط رداء فكنس الكناسة بردائه وكنس معه الناس.

وكان بناء عبد الملك بن مروان قبة الصخرة ومسجد بيت المقدس أنه حمل إلى بنيانه خراج مصر سبع سنين. وقال سبط بن الجوزى فى كتاب [مرآة الزمان] أن عبدالملك بن مروان ابتدأ بنيانه فى سنة تسع وستين وفرغ منه سنة اثنين وسبعين من الهجرة.

روى عن جابر عن رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولى عبدالملك بن مروان: أن عبد الملك حين هم ببناء صخرة المقدس والمسجد الأقصى قدم من دمشق إلى بيت المقدس وبث الكتب فى جميع عمله وإلى سائر الأمصار أن عبدالملك قد أراد أن يبنى فيه بيت المقدس تكن المسلمين من الحر والبرد وكره أن يفعل ذلك دون رأى رعيته فكتبت الرعية إليه برأيهم فوردت الكتب عليه من عمال الأعمال برأى أمير المؤمنين رأيه موفقًا رشيدًا ونسأل الله تعالى أن يتم له ما نوى من بنائه وصخرته ومسجده ويجرى ذلك على يديه ويجعله مكرمة له ولمن مضى من سلفه قال:

فجمع الصناع من عمله كله وأمرهم أن يصنعوا له صفة القبة وسمتها من قبل أن

يبنيها فكرست له فى صحن المسجد وأمر أن يبنى بيت المال فى شرقى الصخرة وهو الذى على حرف الصخرة فبنى وأشحن بالأموال ووكل على ذلك رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام وأمرهما بالنفقة عليها والقيام بأمرها وأن يفرغوا المال عليها إفراغًا دون أن ينفقوه إنفاقًا .

وأخذوا فى البناء والعمارة حتى أحكم العمل وفرغ البناء ولم يبق لمتكلم فيه كلام، وكتب إليه بدمشق: قد أتم الله تعالى ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبةالصخرة ببيت المقدس والمسجد الأقصى، ولم يبق لمتكلم فيه كلام، وقد بقى مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليه بعد فراغ البناء مائة ألف دينار فيصرفها أمير المؤمنين فى أحب الأشياء إليه فكتب إليهما قد أمر أمير المؤمنين لكما بجائزة لما قمتما من عمارة ذلك البيت الشريف المبارك فكتبنا إليه نحن أولى أن نزيد من حلى نسائنا فضلا عن أموالنا، فاصرفها فى أحب الأشياء إليك فكتب إليهما أن تسكب وتفرغ على القبة فسكبت وأفرغت فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب، وهيأ لها جلالين (غطائين) من ليود وأدم من فوقها فإذا كان الشتاء ألبستهما لتكنها من الأمطار والرياح والثلوج.

وكان رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام قد حفا الحجر بدرابزين من ساسم (نوع من الخشب الجيد) ومن خلف الدرابزين مستور د يباج مرخاة بين العمد، وكان كل يوم اثنين وخميس يأمرون بالزعفران فيدق ثم يعمل من الليل ويخمر بالمسك والعنبر والماورد الجورى (عطر مقطر من الورد) ثم يأمر الخدم بالغداة فيدخلون حمام سليمان يغتسلون ويتطهرون ثم يأتون إلى الخزانة التى فيها الخلوق (العطور) فيلقون أثوابهم عنهم ثم يخرجون من الخزانة أثوابا جددا موريا وهرويا وشيا - أنواع من الحرير - يقال له العصب ومناطق مجلاه يشدون بها أوساطهم ثم يأخذون سفول الخلوق ويأتون به حجر الصخرة فيلطخون ما قدروا أن تناله أيديهم حتى يغمروه كله وما لم تنله أياديهم غسلوا أقدامهم ثم يصعدون على الصخرة حتى يلطخوا ما بقى منها وتفرغ آنية الخلوق[1] ثم يأتون بمجامر الذهب والفضة والعود القمارى والند مطرى بالمسك والعنبر فترخى الستور حول الأعمدة كلها ثم يأخذون البخور

---

(١) الخلوق: العطور.

ويدورون حولها حتى يحول بينهم وبين القبة من كثرته ثم تشمر الستور فيخرج البخور وتفوح رائحته حتى تبلغ رأس السوق فيشم ريحه من يمر وينقطع البخور عندهم ثم ينادى مناد فى صف الدرابزين: ألا إن الصخرة قد فتحت للناس فمن أراد الصلاة فيها فليأت فيقبل الناس مبادرين إلى الصخرة فأكثر الناس من يدرك أن يصلى ركعتين وأقلهم أربعا ثم يخرج الناس.

فمن شم رائحة من الناس قالوا هذا ممن دخل الصخرة وتغسل آثار أقدامهم بالماء وتمسح بالآس الأخضر وتنشف بالمناديل وتغلق الأبواب وعلى كل باب عشرة من الحجبة ولا يدخل إلى يوم الاثنين والخميس ولا يدخلها فى غيرها إلا الخادم.

وعن أبى بكر بن الحارث قال: كنت أسرج الصخرة فى خلافة عبدالملك بن مروان بالبان المدينى والزئبق الرصاصى. قال وكانت الحجبة يقولون له يا أبا بكر من لنا بقنديل تدهن منه ونطيب به فكان يجيبهم إلى ذلك هذا ما كان يفعل به فى خلافة عبدالملك بن مروان.

قال الوليد : وحدثنا عبدالرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت قال حدثنى أبى عن أبيه عن جده قال: كان فى السلسلة التى فى وسط القبة درة يتيمة وقرنا كبش إبراهيم عليها لسلام وتاج كسرى معلقان فيها أيام عبدالملك فلما صارت الخلافة إلى بنى هاشم (العباسيين) حولوها إلى الكعبة حرسها لله.

أوصاف أخرى للمسجد الأقصى

روى الحافظ بن عساكر بسنده إلى أبى المعالى المقدسى فذكر حديث بناء عبد الملك بن مروان قبة الصخرة والمسجد الأقصى. ذكره صاحب مثير الغرام فى الفصل السابع قال:

كان فى ذلك الوقت ليس من خشب السقف سوى أعمدة خشب ستة الاف خشبة وفيه من الأبواب خمسون بابا ومن العمد ستمائة عمود رخامًا وفيه من المحاريب سبعة ومن السلاسل للقناديل أربعمائة سلسلة إلا خمسة عشرة منها مائتا سلسلة وثلاثون سلسلة فى المسجد والباقى فى قبة الصخرة وذرع السلاسل أربعة

آلاف ذراع ووزنها ثلاثة وأربعون ألف رطل بالشامى، ومن القناديل خمسة آلاف قنديل، وكان يسرج فيه مع القناديل ألف شمعة فى ليالى الجمع وفى ليلة نصف رجب وشعبان ورمضان وفى ليلتى العيدين.

وفيه من القباب خمس عشرة قبة سوى قبة الصخرة وعلى سطح المسجد من سقف الرصاص سبعة آلاف شقفة وسبعمائة شقفة وزن الشقفة سبعون رطلاً غير الذى على قبة الصخرة وكل ذلك عمل فى أيام عبدالملك بن مروان ورتب له من الخدم القوام ثلاثمائة خادم اشتريت له من خمس بيت المال كلما مات منهم ميت قام مكانه ولده وولد ولده أو من يكن من أهليهم يجرى ذلك أبدًا ما تناسلوا.

وفيه من الصهاريج أربعة وعشرون صهريجًا كبارًا وفيه من المنابر أربعة منها ثلاثة صف واحد غربى المسجد وواحد على باب الأسباط.

وكان لهم من الخدم اليهود الذين لا يؤخذ منهم جزية عشرة رجال وتوالدوا فصاروا عشرين لكنس أوساخ الناس فى المواسم والشتاء والصيف، ولكنس المطاهر التى حول الجوامع.

وله من الخدم النصارى عشرة أهل بيت يتوارثون خدمته لعمل الحصر وكنس حصر المسجد وكنس القنى التى تجرى إلى صهاريج الماء وكنس الصهاريج أيضًا وغير ذلك.

وله من الخدم اليهود جماعة يعملون الزجاج للقناديل والأقداح والبزقات ومسارج توقد بالزيت والفتيلة وغير ذلك مما تدعو إليه الحاجة لا يؤخذ منهم جزية ولا من الذين يحملون القش لفتائيل القناديل جاريا عليهم وعلى أولادهم أبداً ما تناسلوا من عهد عبدالملك بن مروان وهلم جرا.

●●●

بناء الخليفة أبى جعفر المنصور للمسجد الأقصى

لما قدم أبو جعفر المنصور العباسي وكان شرقي المسجد وغربيه قد وقع فقيل له يا أمير المؤمنين قد وقع شرقي المسجد وغربيه زمن الرجفة [١] في سنة ثلاثين ومائة ولو أمرتنا ببناء هذا المسجد وعمارته فقال: ما عندى شيء من المال ثم أمر بقلع الصفائح الذهب والفضة التى كانت على الأبواب فقلعت وضربت دنانير ودراهم وأنفقت عليه حتى فرغ منه.

ثم كانت الرجفة الثانية فوقع البناء الذى كان قد أمر أمير المؤمنين أبو جعفر به ثم قدم المهدى من بعده وهو خراب.

بناء المهدى للأقصى

رفع ذلك إليه (المهدى) فأمر ببنائه وقال:

رق هذا المسجد وطال وخلى من الرجال انقصوا من طوله وزيدوا فى عرضه فتم البناء فى خلافته. وفى سنة اثنين وخمسين وأربعمائة سقط تنور قبة بيت المقدس وفيه خمس مائة قنديل فتطير (فتشاءم) المقيمون به من المسلمين وقالوا: ليكونن فى الإسلام حادث عظيم..

لم يزل بيت المقدس بأيدى المسلمين من لدن فتوح عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سنة أحد وثمانين وأربعمائة، وفى سنة اثنين وثمانين أقام عليه الفرنج نيفا وأربعين يوما فملكوه ضحى نهار الجمعة من سنة اثنين وثمانين، وقيل اثنين وتسعين.

وقد اتفقوا على إقامته فى أيدى الفرنج نيفا وتسعين سنة وتسلمه السلطان صلاح الدين سنة خمسمائة وثلاثة وثمانين، وقتل فيه من المسلمين خلق كثير فى مدة أسبوع وقتل فى المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا، وأخذوا من عند الصخرة من أوانى الذهب والفضة ما لا يضبطه الحصر وانزعج بسببه المسلمون فى سائر البلاد غاية الإنزعاج.

---

(١) زلزال حدث سنة ١٣٠هـ.

وكان الأفضل ابن أمير الجيوش قد تسلمه من سقمان بن أرتق فى يوم الجمعة لخمس بقين من رمضان سنة إحدى وتسعين وقيل فى شعبان سنة تسع وثمانين وولى من قبله فيه فلم يكن لمن ولاه عنه طاقة بالفرنج فتسلموه منه ثم استولى الفرنج على كثير من بلاد الساحل فى أيامه. فملكوا يافا فى شوال سنة ثلاث وتسعين وقيسارية فى سنة أربع وتسعين، واستولوا على بلاد الساحل وما فيها من القلاع والحصون وعاشوا فيها وفيما والاها من النواحى والأعمال والضياع .

تحرير بيت المقدس على يد صلاح الدين

ولم يزل بيت المقدس وما والاه من بلاد السواحل وغيرها فى أيدى الفرنج نيفا وتسعين من السنين إلى أن جاءت الساعة التى جلاها الله تعالى لوقتها فحرره السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب فى أيام الإمام الناصر لدين الله أمير المومنين أبى العباس أحمد بن المستضئ بالله أبى محمد الحسن العباسى، فنهض لاستنقاذ بيت المقدس من أيدى الكفار نهوض الأسد، وكتب إلى الأمصار يستدعى الجموع للجهاد والله عز وجل ناصره حتى انتهى الفتح به إلى عسقلان واستولى على جميع ما كان فى أيدى الكفار من القلاع والضياع والأموال والأعمال والحصون والنواحى والبلدان.

رحل السلطان من عسقلان للقدس الشريف وبعد قتال عنيف أسلم الفرنجة البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وكان فيه أكثر من مائة ألف إنسان.

وكان فى القدس ملكة رومية ترهبت فى عبادة الصليب فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالإفراج، وجلس السلطان على هيئة المتواضع وهيئة الوقار للهناء ولقاء الأكابر والأمراء والفقهاء والعلماء والمتصوفة وغيرهم، وقرأ القراء وانتشر الشعراء ونشرت الأعلام، والعيون تدمع من الفرحة بالنصر والألسنة تبتهل إلى الله وتضرع.

الاحتفال بالنصر

وتسامع الناس بهذا ا لنصر الكريم والفتح العظيم فوفدوا للزيارة من كل فج عميق وسلكوا إليه فى كل طريق وأحرموا من البيت المقدس إلى البيت العتيق وتزهوا من أزهار كراماته الروض الأنيق.

قال العماد وشرع الفرنج في بيع ما عندهم من الأمتعة واستخراج ذخائرهم المودعة وباعوها بأبخس الأثمان في سوق الهوان، وكنسوا كنائسهم وأخذوا منها نفائسهم ونقلوا منها الذهبيات والفضيات من الأواني والقناديل والحريريات والمزهيات من ستور والمناديل ونفضوا من الكنائس الكناين واستخرجوا من الخزائن الدقائق وجمع البطرك الكبير كل ما كان على القبر من صفائح القبر العسجد الكجين (الذهب الخالص) وجمع ما كان وبقى خمسة عشر ألفا منهم طلبوا الذمة فأعطوا الجزية.

من خطبة ابن الزكى فى الاحتفال بالنصر

أمر السلطان ابن الزكى ليخطب فى الناس فكان مما قال:

استفتح بقراءة سورة الفتح إلى آخرها ثم قال: فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، ثم قرأ أول سورة الأنعام إلى قوله ﴿**ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**﴾ ثم قرأ من سورة سبحان الذى ﴿**وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا**﴾ إلى قوله ﴿**وكبره تكبيرا**﴾ ثم قرأ أول سورة الكهف ﴿**الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب**﴾ الآيات الثلاث ثم قرأ من النمل ﴿**قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى**﴾ الآية ثم قرأ أول سورة سبأ ﴿**الحمد لله الذى له ما فى السموات والأرض**﴾ الآية وكان فى قصده أن يذكر تحميدات القرآن فخشى الإطالة وقال الحمد لله معز الإسلام بنصره ومذل الشرك بقهره وحصر الأمور بأمره ويديم النعم بشكره ومستدرج الكفار بمكره الذى قدر الأيام دولا بعد له وجعل العاقبة للمتقين بفضله وأفاء على عباده من فضله وأظهر دينه على الدين كله القاهر فوق عباده فلا يمانع الظاهر على خليفته فلا ينازع، والآمر بما شاء فلا يراجع والحاكم بما يريد فلا يدافع.

أحمده على إظفاره وأظهاره وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره وتطهيره لبيته المقدس من أدناس الشرك وآثاره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد شهادة من أظهر التوحيد قلبه وأرضى به ربه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله رافع الشك وداحض الشرك وقامع الإفك الذى أسرى به ليلاً

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى. ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ صلى الله عليه وعلى خليفته أبى بكر الصديق السابق إلى الأعيان وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت المقدس شعار الصلبان وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين جامع القرآن وعلى أمير المؤمنين علي بن أبى طالب مبيد الكفر ومزلزل الشرك ومكسر الأوثان وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

أيها الناس أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى والدرجة العليا واشكروه على ما يسر على أيديكم من استرداد هذه الضالة وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها فى أيدى المشركين قريبًا من مائة عام وتطهير البيت الذى أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، وإماطة الشرك عن طريقه بعد أن امتد عليها رواقه واستمر فيها رسمه ورفع قواعده بالتحميد والتوحيد فإنه يبنى عليه وشيد بنيانه بالتحميد والتمجيد فإنه أساس بنيانه على التقوى من خلفه ومن بين يديه فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم محمد ﷺ وقبلتكم التى كنتم تصلون إليها فى ابتداء الإسلام وهو مقر الأنبياء ومقعد الأولياء ومدفن الرسل ومهبط ا لوحى ومنزل به الأمر والنهى وهو فى أرض المحشر وصعيد المنشر وهو فى الأرض المقدسة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه المبين وهو المسجد الأقصى الذى صلى فيه نبى رب العالمين بالنبيين والمرسلين والملائكة المقربين، وهو البلد الذى بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذى كرمه الله برسالته، وشرفه بنبوته ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته فقال: «لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون».

كذب العادلون بالله [1] وضلوا ضلالاً بعيدًا **﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾** ، **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾** إلى آخر الآيات من المائدة، وهو أول القبلتين وثانى المسجدين وثالث الحرمين لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ولا تقعد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه.

---

(١) الذين يسوون به سبحانه غيره.

فلولا أنكم من اختـار الله من عباده واصطفاه من مكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التى لا يجاريكم فيها مجارى ولا يباريكم فى شرفها مبارى. فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والضربات الصديقية، والفتوحات العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية.

جددتم الإسلام أيام القادسية [1] والملاحم اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والحملات الخالدية، فجزاكم الله عن نبيكم محمد ﷺ أفضل الجزاء وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم (أرواحكم) فى مقاومة الأعداء وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من إهراق الدماء وأثابكم الجنة فهى دار السعد فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها وقوموا لله بواجب شكرها فله تعالى المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة. فهذا هو الفتح الذى فتحت له أبواب السماء وبلجت بأنواره وجوه الظلماء وابتهج به الملائكة المقربون وقرت أعين الأنبياء والمرسلين، وجعلكم الجيش الذى يفتح على يديه البيت المقدس فى آخر الزمان والجند الذى تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان فيوشك أن يفتح الله على أيديكم أمثاله وأن تكون التهانى لأهل الخضراء أكثر من التهانى لأهل الغبراء.

البيت الذى ذكره الله تعالى فى كتابه ونص عليه فى محكم خطابه ومتحكم به منته وطوله فقال: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ [الإسراء].

وهو الذى عظمته الملل وأثنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من الله تعالى. لأجله الشمس ردت على يوشع بن نون بن يعرب وباعد بين جوانبها لتبين فتحه ويقرب.

أليس هو البيت الذى أمر الله عز وجل قومه باستيطانه فلم يجبه إلا رجلان وغضب عليهم لأجله فألقاهم فى التيه عقوبة للعصيان.

فأحمد الله الذى أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل وقد فضلت على العالمين ووفقكم لما خذل فيه أمما كانت قبلكم من الأمم الماضين وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى وأغناكم.

---

(١) كان بين المسلمين والفرس.

وليهنكم أن الله تعالى قد ذكركم به فيمن عنده وجعلكم جنودا وشكرتكم الملائكة المنزلون على ما أهديتم لهذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتحميد.. وما أمطتم عن طريقه من أذى الشرك والتلثيث والاعتقاد الفاجر الخبيث.

والآن تستغفر لكم أملاك السموات وتصلى عليكم الصلوات المباركات فأحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله الذى من تمسك بها سلم ومن اعتصم بغزوتها نجا واعتصم، واحذروا اتباع الهوى وموافقة الردى ورجوع القهقرى فى انتهاز الفرصة وإزالة ما بقى من الغصة، وجاهدوا فى الله حق جهاده وبيعوا عباد الله أنفسكم فى رضاه إذ جعلكم من خير عباده وإياكم أن يشتريكم الشيطان وأن يدخلكم الشيطان فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد وخيولكم الجياد ونجلاءكم (الشجعان] فى مواطن الجلاد لا والله العظيم ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، واحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل وخصكم بنصره المبين أن تقترفوا كثيرًا من نواهيه وأن تأتوا عظيمًا من معاصيه فتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، وكالذى آتيناه آياتنا فانسلخ بها فاتبعه الشيطان فكان من ا لغاوين.

والجهاد الجهاد فهذا أفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم انصروا الله ينصركم، اذكروا الله يذكركم. اشكروا الله يشكركم، جدوا فى حسم الداء وقلع شأفة الأعداء، وطهروا بقية الأرض من هذه الأنجاس التى أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية والملة المحمدية.

الله أكبر فتح الله ونصر وغلب الله وقهر وأخذل من كفروا اعلموا رحمكم الله مقالى أن هذه فرصة فانتهزوها وأخرجوا لها هممكم وأبرزوها وسيروا إليها سرايا عزماتكم وجهزوها.

فالسعادة بأمايرها (بأماراتها) والمكاسب بذخائرها وقد ظفركم (نصركم) الله تعالى بهؤلاء المخذولين وهم مثلكم أو يزيدون فكيف وقد أضحى قبالة الواحد منكم عشرون وقد قال الله تعالى:

﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ .

أعاننا الله وإياكم على إتباع أوامره والانزجار بزواجره، وأيدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده ﴿ **إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده** ﴾.

إنه أشرف مقال يقال فى مقام وأنفذ سهام تمزق عن قسى الكلام، وأمضى قول تحلى به الأفهام الواحد الفرد العزيز العلام ثم استعاذ وبسمل وقرأ أول سورة الحشر ثم دعا للخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله تعالى وللسلطان فقال:

اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك المعترف بموهبتك. سيفك القاطع وسهمك اللامع المحامى عن دينك الذاب (المدافع) عن حرمك. الممانع السيد الملك الأجل جامع كلمه الإيمان وقامع عبدة الصلبان صلاح الدين والدنيا سلطان الإسلام مطهر بيت المقدس من أيدى المشركين أبى المظفر يوسف بن أيوب محيى دولة أمير المؤمنين.

اللهم عمم بدولته البسيطة واجعل ملائكتك براياته محيطة وأحسن عن الدين الحنيفى جزاءه وأشكر عن الملة المحمدية حزبه وقضاه. اللهم زين للإسلام مهجته (روحه) ووفى للأنام حوزته وانشر فى المشارق والمغارب دعوته. اللهم فكما فتحت على يديه بيت المقدس بعد أن ظنت الظنون فافتح على يديه دانى الأرضى وقاصيها وملك صلبان الكفرة ونواقيسها فلا نلقى منهم كنيسة إلا مزقتها ولا جامكة (التموين والرواتب) إلا فرثتها [1] (ما بداخل الأمعاء من طعام). ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقتها بمن سقبها. اللهم أشكر عنه سيدنا محمد ﷺ سعيه فى المشارق والمغارب. اللهم واصلح به أوساط البلاد وأطرافها. اللهم انصره على الفجار وانشر دواير ملكه على الأمصار. اللهم شد عضده.

ثم ختم بقوله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى الآية.

وصلى فى المحراب وافتتح بسم الله الرحمن الرحيم أم الكتاب، وأمَّ الأمة وتم نزول الرحمة وكمل حصول النعمة. وتوالت مسرات وصلى السلطان فى قبة الصخرة والصفوف بها على سعة الصحن متصلة والأمة إلى الله تعالى بدوام نصر

---

(١) قال تعالى: يخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين.

السلطان الملك الناصر مبتهلة والأيدى مرفوعة والدعوات لديه مسموعة.

ثم رتب السلطان فى المسجد الأقصى خطيبًا استمرت واستقرت رتبته. قال العماد رحمه الله تعالى: (حال الصخرة بعد الاحتلال الصليبى) وأما الصخرة فكان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحا ولم يتركوا للأيدى المتبركة والعيون المدركة ملمسا ولا مسطحاً وقد زينوها بالصور والتماثيل وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط الأنجيل وكملوا بها أسباب التعظيم والتبجيل وأفردوا بها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة على أعمدة الرخام منتصبة وقالوا محل قدم المسيح.

وكان فيها صور الأنعام مثبتة والصخرة المقصودة المزورة بما عليها من الأبنية مستورة وتلك الكنيسة المعمرة فأمر السلطان بكشف نقابها ورفع حجابها وحسر لثامها وكسر رخامها وفض بنائها فعادت كما كانت فى الزمن القديم واستجلى الناظرون وجه حسنها الوسيم.

اهتمام السلطان بقبة الصخرة

أمر السلطان بإسراج القناديل من فوقها فكانت نورا على نور وعمل عليها حظيرة من شبابيك حديد والاعتناء من ذلك الوقت فى كل يوم يزيد، ورتب السلطان فى قبة الصخرة إماما من أحسن القراء تلاوة وأنداهم صوتًا وأسماهم فى الديانة صيتًا وأعرفهم بالقرآت السبع بل العشر وأطيبهم فى الرواية والنشر وأغناه وأقناه وأولاه ما أولاه، وأوقف عليه دارًا وأرضًا وبستانًا وأسدى إليه معروفًا زايدًا وإحسانًا وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات معظمات لاتزال بين يدى الزائرين على كراسيها مرفوعة وعلى أسرتها موضوعة ورتب لهذه القبة خاصة وللمسجد عامة قومه هممهم على شمل مصالحهم ملتئمة وأمورهم فى الحرمة منتظمة فى أبهج ليلها وقد حضرت الجمع وازدهرت الشموع وبان الخشوع وبان الخضوع وذرفت من عيون المتقين الدموع واستقرت من العارفين الضلوع فلا ترى فى تلك الحضرة المقدسة إلا كل ولي يعبد ربه ويؤمل بربه وكل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره وكل من يحيى الليل ويقوم ويسمو بالحق ويسود.

وكل من ختم القرآن ويرتله ويطرد الشيطان ويدحض كيده ويبطله، وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعًا وحملوا منها إلى القسطنطينية ونقلوا منها إلى صقلية وقيل باعوها بوزنها ذهبًا واتخذوا ذلك مكسبًا. فأمر السلطان بالشروع فى العمران وترميم محراب الأقصى وأمر أن يبالغ فيه ويستقى وتنافس فيه ملوك بنى أيوب فيما يورث من الآثار الحسنة وفيما يجمع لهم القلوب وشكر الألسنة.

وفاوض السلطان جلساءه من العلماء والأبرار والأتقياء الأخيار فى بناء مدرسة للفقهاء الشافعية فأشاروا عليه بذلك وكذا رباط للصلحاء الصوفية (١).

سبب فتح بيت المقدس

قال العماد رحمه الله: وقال بعض العلماء رأيت فى بعض المجاميع أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى لما كثرت فى البلاد الساحلية فتوحاته وأوجعت فى أهل الكفر سهامه وسطواته كان لا يجاسر على فتح بيت المقدس لكثرة ما فيه من الأبطال والعدو والرجال ونبال، وكونه كرسى دين النصرانية وأيدى غلبة الفرنج عليه إذ ذاك مختومة قوية، وكان ببيت المقدس يومئذ شاب مأسور من أهل دمشق فكتب أبياتا على لسان القدس الشريف وأرسلها إلى السلطان صلاح الدين:

يا أيها الملك الذى ... لمعالم الصلبان نكس
جاءت إليك ظهرته ... تسعى من البيت المقدس
كل المساجد طهرت ... وأنا على شرفى منجس

فأخذته غيرة الإسلام وكانت تلك الأبيات هى الراعية له على فتح بيت المقدس وولى الشاب الشاعر الخطابة.

وتوفى السلطان صلاح الدين (٢) فى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة أسكنه الله تعالى فسيح جناته.

---

(١) الصوفية بدعة وبطالة.

(٢) حققت كتابًا عن سيرة صلاح الدين أصدرته دار صلاح الدين للتراث فى عام ٢٠٠٠ ميلادي.

صلاح الدين يواصل فتوحاته

فى بلاد الشام

وفى سنة أربع وثمانين وخمسمائة رحل السلطان صلاح الدين عن القدس وترك المدينة وما ولاها من البلاد الساحلية التى كانت قد افتتحها فى طريقه حين خرج من الشام وقصد حصن الأكراد ونزل عليه وبث العساكر فى تخريب ضياع الفرنج وقطع أشجارهم ونهبهم وأعمال النكاية فيهم ثم إلى طرسوس ففتحها عنوة ثم سار إلى حبلة فأخذها عنوة ثم سار إلى اللاذقية فحاصرها ثم افتتحها وأخذ منها غنائم كثيرة، ثم سار إلى أنطاكية فرغب صاحبها وهو البرنس فى الهدنة ثم سار إلى صهيون وهى حصينة إلى الغاية فحاصرها ثم أخذها بالأمان بعد ثلاثة أيام ثم بث عسكره وأولاده وسراياه فأخذوا حصون تلك الناحية مثل بلاطنس وقلعة الجماهير وبكاس والشعر ونزمانة ودرب ساك وبفراس ثم سار إلى الشوبك وأخذها بالأمان ثم سار إلى صفد ونازلها فوصل إليه أخوه الملك العادل أبو بكر بمن معه من عساكر مصر ودام الحصار على صفد إلى ثامن من شوال ثم أخذت بالأمان ثم سار إلى حصن كوكبة ونازله وحاصره ثم أخذه بالأمان فى نصف ذى القعدة من سنة أربع وثمانين وخمسمائة.

وفى سنة خمس وثمانين حشد الفرنج وجيشوا واستحاشوا وخرجوا من مدينة صور قاصدين عكا، واجتمعت الرهبان والقسوس وجماعة من المشهورين ولبسوا السواد وأظهروا الأسف والحزن على بيت المقدس وأخذهم بطرك القدس الذى أخذ السلطان بيته المشرف على كنيسة قمامة، وجعله خانقاه للصوفية يقرأ فيها القرآن العظيم ويجهر فيها بالأذان والذكر الحكيم ورحل بهم إلى بلاد الإفرنج وجعلوا يطوفون البلاد ويستغيثون ويستنصرون بالملوك والأكابر من أهل الملة المسيحية وصدروا صورة المسيح، وقد جرحه واسال دمه النبى ﷺ على وجهه فعظم ذلك على الفرنجة وأخذتهم حمية الجاهلية وحشدوا حتى انتهى إليهم من الرجال والأموال ما لا يحصى.

يقـول السـيوطـى: قال ابن الأثيـر: وخـرجـوا على الصـعب والذلول برًا وبحـرًا وجاءوا من كل فج عميق وفى زعـمهم أنهم يملكون بيت المقدس وينزعونه من أيدى المسلمين ويعيدونه إلى الحالة الأولى التى كـان عليها حين كان فى أيديهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون.

ثم إن الفرنج نازلوا عكا فى منتصف رجب من السنة المذكـورة وأحاطوا بها حتى لم يبق للمسلمين إليها طريق.

وجـاء السلطان صـلاح الدين ومن مـعـه من عـسكره الموحـدين ووقـعت بينهم حروب كثـيرة وفى بعضهـا حمل تقى الدين ابن أخ صلاح الدين على ميـمنة الفرنج حملة منكرة أزاحهم ومن معهم بها عن مواقفهم وملك تقي الدين مواقعهم والتصق بعكا ودخل المسلمون البلد وأدخل إليهم السطـان صلاح الدين ما أرادوا من الرجال والعدد فلما كان العـشرون من شعبان اجتمع الفـرنج للمشورة قالوا: الرأى أن نلقى المسلمين غدًا على حين غفلة لعـلنا نظفر بهم قبل أن يأتيهم الأمداد فإن أكـثر عسكر المسلمين كان إذ ذاك غائبـاً بعضهم مقابل أنطاكـية، وبعضـهم مقـابل صور، وعسكر مصر بالإسكندرية ودمياط وأصبح الفرنج متـعينين للقتال وأصبح السلطان على غير أهبة، وخرج الفرنج كأنهم الجراد المنتـشر قد ملأوا الأرض بالطول والعرض وحملوا حملة رجل واحد فانهزم المسلمون وثبت بعضهم واستأسروا جماعة ثم تراجع بعض المسلمين وحمل بهم السلطان حملة صـادقة فقتلوا من الفرنج مقـتلة عظيمة وأسروا جملة وكانت عدة القتلى يؤمئذ عـشرة آلاف فأمر بهم السلطان فألقوا فى النهر الذى يشرب منه الفرنج.

قال العـماد الكاتب رحمـه الله تعالى: إن الذين ثبتـوا من المسلمين ردوا مائة ألف من الكفار وكـان الواحد يقـول قتلت ثلاثين قتلت أربـعين وجافت الأرض من نتن القتلى وانحرفت الأمزجة، ومرض السلطان صـلاح الدين فأشاروا عليه بالانتقال من ذلك الظرف وترك الفرنج فرحل إلى الخروبة.

وأخذ الفرنج فى محاصرة عكا وكـان ا لذين بها من المسلمين يخرجون إليهم كل يوم ويقـاتلونهم إلـى نصف شـوال ووصل العـادل أبو بكر بالمصـريين ومـعـه آلات

الحصار شيء كثير فلما دخل صفر من سنة ست وثمانين وخمسمائة وذهب الشتاء وجاءت إلى السلطان الأمداد من كل جهة ورحل من الخروبة إلى نحو عكا ودام القتال بين المسلمين وبين الفرنج ثمانية أيام متتابعة وخرج ملك الألمان وهم نوع من أكثر الفرنج عددًا وأشدهم بأسًا وعددًا وكان قد أزعجه أخذ بيت المقدس غاية الإزعاج فأظهر الأسف والحزن فجمع العساكر وصار قاصدًا بلاد المسلمين طامعًا في نصر أهل ملته وأخذ بيت المقدس ممن هو في يديه من المسلمين وكانوا نحوا من مائتي ألف وستين ألفا فنزل ملكهم يوما يغتسل في نهر قريب من أنطاكية فغرق في مكان لا يبلغ الماء فيه وسط الرجل وتولى بعده ولده وأبادتهم يد القدرة الإلهية والعناية الربانية في الطريق فلم يبق منهم إلا نحو ألف رجل وصلوا إلى عكا وغادروا إلى بلادهم فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد ولله الحمد والمنة سبحانه وتعالى لا راد لأمره ولا معقب لحكمه وهو الحكم العدل.

واشتد القتال بين الفرنج الذين كانوا في عكا وأتتهم أمداد المشركين في البحر من الجزائر البعيدة حتى ملأوا البر والبحر، وجاءت السلطان أيضًا الأمداد وحرم بطركهم عليهم كل مباح وغلق الكنائس ولبس وألبس الحداد، وحكم عليهم أن لا يقربوا النساء ولا يزالوا كذلك إلى أن يفتح عليهم، ويصلوا إلى مقصودهم فلما كان في بعض الأيام خرجوا على حين غفلة فرجع عليهم السلطان وطحنهم طحنا ثم خرجوا مرة أخرى وعملوا فيها برجين عظيمين من أخشاب عاتية يشمل كل برج منها على أربع طبقات وعملوا كبشا هائلاً عملوه من خشب وجعلوا في رأسه قناطير من حديد على صفة قرون محدودة لينطحوا بها السور فينهزم فخرج إليهم المسلمون ورموا الأبراج بالأحجار وقد أشعلوا النفط فافترقوا، وأما الكبش فإنه ساخ في الرمل لثقله وعجزوا عن تخليصه وجرت بينهم أمور طويلة.

وتم الحصار على عكا نحو السنتين وقتل من الفرنج ما يزيد على مائة ألف، وفي سنة ثمان وثمانية وخمسائة وقع الصلح بين السلطان صلاح الدين وبين الفرنج مع كراهيته، وفي أواخر السنة المذكورة مرض السلطان واشتد به المرض فحمل إلى دمشق ثم توفي في صفر سنة تسع وثمانين وخمسائة رحمه الله رحمة واسعة.

حال البلاد بعد صلاح الدين

ولما تسامع أهل الآفاق بوفاته كثر فيها الآهات والنواح والعويل والضجيج وعظم الأسف واشتد القلق وهو بذلك حقيق وخلف من الأولاد سبعة عشر ذكرًا منهم العزيز صاحب مصر والأفضل صاحب دمشق ودخلهاالعزيز هو وعمه العادل ثم رجع العزيز إلى مصر وأقام العادل بدمشق واستولى عليها وأخرج منها أولاد أخيه صلاح الدين... وأعطى الأفضل صرخد ثم هدم العادل يافا بعد أن أخذها بالسيف فى شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسائة فنزلت الفرنج ببيروت ثم ملكوها بغير كلفة ، وفى سنة أربع وتسعين جاء الخبر بوفاة طغتكين وهو أخو السلطان صلاح الدين وكان صاحب اليمن وملك بعده ولده إسماعيل فظلم وغشم وأساء السيرة ورام الخلافة ولقب نفسه بالهادى ولم يتم له أمر.

وفى سنة خمس وتسعين وخمسمائة مات العزيز فبادر أخوه الأفضل وتوجه إلى مصر وملك ولد أخيه العزيز وكان الولد صبيًا وكان الأفضل أتابكه (رئيس الجند) ثم أخذ الأفضل جيوش مصر وأقبل إلى دمشق وحاصرها وبالغ وأحرق الخواضر وفعل كل قبيح ثم دخل البلد ووصل إلى باب البريد، فحمل عليه وعلى من معه من أصحاب الملك العادل وكسرهم كسرة شنيعة فرجعوا من حيث جاءوا وضعف الأفضل وطال الحصار.

ودخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة والأفضل وأخوه الظاهر بعساكرهم ظاهر دمشق قد حفروا عليهم خندقًا من عندهم إلى البلد خوفًا من كبسة عمهم العادل وعظم الغلاء بدمشق ونفذت خزائن العادل بمصر على جنده وبدل المسلمون بحرب الفرنج حرب بعضهم بعضا ثم رحلا وأنجد الكامل والده العادل بأربعمائة ألف دينار فتقوى بها ورجع الأفضل إلى مصر فأسرع العادل وتبعه فلحقه عند الغرابى ودخل العادل مصر وقد ملكها الظاهر، فرجع الأفضل إلى صرخد ثم سلطن العادل ولده الكامل بمصر وخطبوا له بها ثم رجع الأفضل والظاهر إلى محاصرة دمشق سنة سبع وتسعين وخمسمائة وبها المعظم عيسى بن العادل، وزحفوا عليها وبقى الحصار شهرًا ثم وقع الخلف بين الأخوين المذكورين، ورحلا عن دمشق ثم مات الظاهر فى سنة ثلاث عشرة وستمائة بلأشهاد. ثم مات العادل فى سنة خمس عشرة وستمائة فى

جمادى الآخرة خارج دمشق وحمل فى محفة إلى دمشق ودفن بالقلعة ثم نقل من القلعة بعد أربع سنين إلى تربته بالعادلية الصغرى ودفن بها وخلف العادل من الأولاد اثنى عشر ذكرا منهم الكامل محمد صاحب مصر والمعظم عيسى صاحب دمشق والأشرف موسى والناصر داود وغيرهم.

ولما ملك المعظم دمشق اقتضى رأيه تخريب قلعة السطور وقلعة بنين وبانياس فى أول سنة ست عشرة خوفًا من استيلاء الفرنج عليه وصدًا لهم عن قصده لتعذر التحصين عليهم فيه أخذا فى ذلك بالحزم وكانت مدينة القدس حين هدم المعظم أسوارها من أحصن المدائن خرج منها أكثر أهلها وعاد المعظم إلى دمشق.

وأما الكامل محمد فبعد أن ملك مصر أخذت الفرنج دمياط فى شعبان سنة ست عشرة وستمائة، وكان أهلها قد هلكوا من القحط والوباء فسلموها للفرنج بالأمان ثم غدرت الفرنج بهم وقتلوا وأسروا وعملوا جامع البلد كنيسة وكان الكامل إذ ذاك مشغولاً بقتال التتار وكسرهم فى وقعة البركس[1]، فانهزموا ومن انضم إليهم إلى دمياط وكانتْ بينه وبينهم دفعات هائلة أنزل الله فيها النصر على المسلمين ومازال الكامل مشغولاً بقتال الفرنج الذين أخذوا دمياط وابتنى مدينة إذ ذاك سماها المنصورة عند مفرق البحر وسكنها بجيشه وتواردت عليه الجيوش والعساكر من كل جهة وعظم الخطب واشتد البلاء ثم استرد الكامل دمياط من الفرنج سنة ثمان عشرة وستمائة.

وذلك أن الفرنج خرجوا يومًا فى أهبة كاملة ليغيروا على الغربية فى زيادة النيل ففتح الكامل عليهم سدًا فأحاط بهم الماء من الجهات الأربع بحيث أنهم لا يقدرون على الوصول إلى دمياط قال ابن الأثير: ولو طول للكامل روحه يومين لأسرهم عن آخرهم، وصالحهم الملك الصالح نجم الدين أيوب فجاءت ملوكهم إلى خدمته فأنعم عليهم.

وكان قد وصل إليه أخواه السلطانان وهما المعظم عيسى وموسى بجيوشهما وعساكرهما فمد السلطان الكامل حينئذ سماطا عظيمًا حضره ملوك الفرنج ووقف

---

(١) هذه الواقعة كانت قبل موقعة عين جالوت ولكن العجب أن المؤرخين لم يشهروا هذه الوقعة كما اشتهرت وقعة عين جالوت بين التتار والمماليك.

أخوه عيسى وموسى المشار إليهما فى خدمته وكان يومًا مشهودًا حضره الخاص والعام.

وجرت فيما بين سنة تسع عشرة وستمائة وبين سنة خمس وعشرين منها بين الكامل وإخوته وأولادهم ومن تابعهم من أولاد عمه وبين الفرنج والتتار وغيرهم من الخوارج وقائع كثيرة وحروب متعددة ومنازلات ومحاصرات وتنقلات يطول شرحها ومات المعظم وجاء التقليد بالسلطنة بالشام من الكامل فى آخر العام إلى دمشق وجاءه أسد الدين صاحب حمص فأغلق الناصر داود دمشق واستنجد بعمه الأشرف موسى فقدم من خلاط، فتأخر الكامل وأمسك يده ولم يجد شيئًا وقال: أنا ما أقاتل أخي يعنى الأشرف وبلغ الأشرف ذلك فقال للناصر داود: إن أخى حضر والمصلحة تقتضى استعطافه.

ثم سار إليه واجتمع به فصار نجدة على الناصر لا له ثم اتفق الأخوان وهما الكامل والأشرف على ترحيل الناصر من دمشق واستنجد الكامل حينئذ بالفرنج بالأنبروز ملك الفرنج فأتاه فى جيش كثيف فأعطاه الكامل القدس وهى مخربة الأسوار فشق ذلك على المسلمين وبقى أهل بيت المقدس مع الفرنج فى الدار ونطق الناقوس وصمت الأذان وعد الناس ذلك وصمه فى الدين وتوجهت به الأئمة من الخلافة قاطبة على الكامل.

وخرج الناصر داود لتلقى عمه فبلغ اتفاقه هو والكامل عليه فبادر حصن البلد وجاء الأخوان فأحاطا به وحاصراه شهرًا وقطعوا بأنياس والقنوات ونهبوا البساتين وأحرقوا غالبها وتمت بينهم وقعات وقتل جماعة من الفريقين وأحرقت الحواضر واشتد البلاء وعظم الخطب شهرًا.

وفى آخر الأيام أبرم الصلح فى أول شعبان على أن يعرض الناصر بالكرك [1] فتحول إليها وبقى سلطانها بيده ودخل الملك قلعة دمشق ثم وجه عسكره لمحاصرة حماه ثم أعطى أخاه الأشرف دمشق بعد شهر وأعطى الأشرف عوضها حران والرها ورأس العين والرقة، ثم سار الكامل إلى هذه البلاد ليسلمها فخرج صاحب حماه إلى خدمته ثم حاصر الأشرف بعلبك وبها الأمجد فى الآخر وجاء الأمجد إلى

(١) تقع شرق البحر الميت.

دمشق وأقام بداره التى كانت له بها وأعطى الأشرف أخاه الصالح إسماعيل بعلبك فى سنة سبعة وعشرين وستمائة فتسلمها وأدخل إليها.

وأما الملك الكامل فإنه حاصر آمد ونصب عليها المجانيق ونازلها فى سنة ثلاثين وستمائة ثم أخذها من صاحبها الملك المسعود مودود الأتابكى، واستناب الكامل فى آمد ولده الصالح نجم الدين أيوب.

وفى أول سنة خمس وثلاثين وستمائة مات الملك الكامل بالقلعة بعد ستة أشهر من موت أخيه الأشرف وتسلطن بدمشق بعد الكامل. الملك الجواد بن داود بن العادل فأنفق الأموال وبدد وأسرف وسارع الناصر فأخذه على غرة.

وأما مصر فسلطنوا بها العادل بن الكامل ثم قايض الجواد بدمشق سنجار وعاونه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل فكانت صفقة الجواد فيما قايض فيه صفقة خاسرة، ثم تجهز الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل إلى مصر ثم أرسل فى طلب عمه الملك الصالح إسماعيل من بعلبك ثم مضى إلى نابلس وكاتب عمه الأمراء واستمالهم إليه ثم هجم الصالح عماد الدين إسماعيل على دمشق وتملكها، وتفرقت الأمراء على الصالح نجم الدين أيوب وعزل إليه من الكرك أصحاب ملكها الناصر داود فقبضوا عليه ومضوا به إلى الكرك فاعتقله الناصر صاحب الكرك يسأله فى إطلاق أخيه نجم الدين أيوب وبذل له فيه مائة ألف دينار وبعث عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق إلى الناصر أيضًا بطلب نجم الدين أيوب ودفع فيه مبلغًا كبيرًا فأبى الناصر أن يرسله إلى الصالح إسماعيل ولم يقبل شيئًا مما بذل له فيه واتفق مع نجم الدين أيوب وقصد به مصر ليملكه إياها ويشاركه فى المملكة فحاصرت الأمراء الكاملية على العادل بن الكامل صاحب مصر، وكاتبوا أخاهم نجم الدين الصالح أيوب وحثوه على سرعة الحضور فوصل وقبض على أخيه العادل واستولى على الديار المصرية بغير كلفة ولا مشقة ولا تعب، وذلك فى ذى القعدة، وأعرض عن الناصر داود فلم يعبأ ولم يلتفت إليه فرجع خائبًا إلى الكرك.

ولما وصل الناصر داود إلى الكرك همته نفسه إلى استنقاذ بيت المقدس من أيدى الفرنج وتطهيره من أرجاسهم وأدناسهم وأظهر ما كان كامنًا فى نفسه من ناحية الكامل بسبب استغاثته عليه واستنجاده فى أمره بالفرنج واعطائهم بيت المقدس.

وأما ما كان من أمر الفرنج فإنه لما أعطاهم الكامل بيت المقدس وسمح لهم تراجعوا إليه ودخلوه وقاموا به وفيه المسلمون وكل طائفة منهما فيما هم هؤلاء فى عبادتهم وصلواتهم وأذكارهم وهؤلاء فى كفرهم وشركهم والدار جامعة لهم واحدة. فالمسلمون من أجل ذلك فى غاية الحصرة والضر والضنك والتشوش.

واتفق أن ملك الفرنج حين أعطاه الكامل بيت المقدس وتوجه إليه ليدخله عارضه فى الطريق شخص قيل إنه من نابلس وكان قاضيًا بها، وبالشام وتقرب إلى ملك الفرنج وتوصل إليه بما أوجب إقباله عليه، ولم يزل فى صحبته إلى أن دخل معه القدس فأخذ ذلك القاضى يدور بالملك وعين معه من خواصه ويزورهم الأماكن الفاضلة والمعاهد المعظمة والمشاهد المحترمة وجعل يوجه الخطاب إلى الملك بما يرغبه فى الإقامة بالقدس الشريف واستيطانه وعدم الخروج عنه، ودخل المسجد الأقصى، وأصعده المنبر ومنع القاضى المذكور المؤذنين من الجهر والتسبيح فى أوقات السحر فى تلك الليلة، ولما أصبح الملك وحضر إليه القاضى فسأله عن المؤذنين وذكر أنه لم يسمع فى هذه الليلة فى منارات هذا المعبد إذ أن لا تسبيح فقال له القاضى: أنا منعتهم من ذلك إجلالاً للملك فكان من جوابه لا جزاك الله خيرًا.

ولما صرف الملك الناصر داود صاحب الكرك نفسه على الشواغل العارضة من جهة المليك وتضيع الزمان فى الاشتغال لما هناك اقتضى رأيه السعيد المبادرة إلى استنقاذ بيت المقدس من أيدى النصارى الطائفة الفاجرة رجاء ثواب الدنيا والآخرة وجمع جمعًا عظيمًا وأعده للهجمة على الفرنج فى عقر الدار على حين غفلة، منهم وقسم جمعه الذى جمعه وجعله فرقًا وعقد لكل فرقة راية وأعد لكل طائفة جانبًا من جوانب البلد يتداعون منه عند اللهجة برفع الأصوات بالتكبير وانتصر الناصر على الكفرة المشركين أعداء الدين يوم عيدهم الأكبر الذى يجتمعون فيه على الكفر وشرب الخمر ورفع الصليب على عاداتهم فى أيام أعيادهم.

ووصل الناصر بمن معه ليلة العيد ورتب كل فرقة فى مكانها الذى أعده لها. هذا والنصارى فى غيهم ولهوهم ولعبهم وكفرهم وشركهم وسكرهم. ثم إن المسلمين أشعلوا النيران ورفعوا الأعلام والرايات فكبروا وهجموا قبيل الصبح على النصارى فى مواطنهم ومواطن كفرهم وشركهم فدهشوا وحاروا حين سمعوا التكبير من كل

جانب من جوانب البلد ووضع المسلمون فيهم السيف واستمروا يقتلون ويأسرون وينهبون وجاء ملك الفرنج إلى النصارى وجعل يخاطب فى معنى ما وقع من الناصر فجرد سيفه وضرب عنق ملك الفرنج وضج المسلمون بالتكبير والتهليل.

وكانت وقعة هائلة وما طلع النهار إلا وقد قويت شوكة المسلمين وانصرفت هممهم إلى تتبع آثار النصارى فى كل فج عميق، وأعتنى الناصر حينئذ بإقامة الشعائر التى كان عمه السلطان صلاح الدين رحمه الله قام بها وأمر بكتابة البشائر إلى سائر الممالك بهذا الفتح المبين والنصر العزيز.

ثم رجع الناصر بعد تمام هذا الفتح المبين إلى الكرك وتواردت الألسن بالدعاء له وشكر مساعيه.

●●●

من فضائل القدس

روى الطبراني بسنده إلى أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج رجل من أمتي يقول بسنتي ينزل الله له القطر من السماء فتخرج له الأرض من نباتها أو قال من بركتها تملأ الأرض منه قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلما يعمل عمل هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس».

وروى نعيم بن حماد، قال: حدثنا عبدالله بن مروان عن الهيثم بن عبدالرحمن عمن حدثه عن علي رضي الله عنه قال: المهدي يولد بالمدينة من أهل بيت رسول الله ﷺ واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس.

وعن أبي السائب قال: سمعت أبي يذكر أن رجلاً انتقل إلى بيت المقدس فقيل ما نقلك إليها قال: بلغني أنه لايزال في بيت المقدس رجل يعمل بعمل داود.

بعض من دخل بيت المقدس

من أعيان الصحابة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبو عبيدة بن الجراح، أبو الدرداء عويمر وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وعبدالله بن عمرو وأخوه عبيدالله، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وعبدالله بن سلام الحبر الجليل، ويزيد بن أبي سفيان، ومعاوية، وأبو هريرة عبدالرحمن بن صخر، وأبو أمامة، وابن مسعود عتبة بن عمرو البدري، وعقبة بن عامر الجهني، وأبو جمعة الأنصاري واسمه حبيب بن سباع، ومرة بن كعب، وعبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وأبو ريحانة واسمه شمعون من بني قريظة مولى رسول الله ﷺ ، وتميم الداري، والشريد بن سويد قدم بيت المقدس لأنه نذر أن يصلي فيه إن فتح الله مكة على رسول الله ﷺ واستأذن في ذلك فأذن له. وابن الجدعا التميمي، وفيروز الديلمي وهو من أبناء فارس، ومن الذين بعثهم كسرى إلى اليمن فنفوا الحبشة منها وغلبوا عليها سكن بيت المقدس ومات في خلافة عثمان.

وذو الأصابع التميمى من أهل اليمن من المدد الذين نزلوا الشام ببيت المقدس وغيرهم.

قال صاحب مثير الغرام فى آخر فصل فتم به كتابه المذكور: اعلم أن القدس الشريف بلد عظيم أجمعت الطوائف كلها على تعظيمه ما خلا طائفة السامرة فإنهم يقولون إن القدس جبل نابلس وخالفوا جميع الأمم فى ذلك.

فضائل القدس والشام

عن معمر عن قتادة فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **وأورثنا القوم الذين يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها** ﴾ قال: هى مشارق الشام ومغاربه.

وسميت الشام: شاما أو شأما لأنها شمال الكعبة، كما سمى كل ما عن يمين الكعبة من بلاد الغور يمنًا.

وقيل سميت بذلك لأن أصحاب نوح عليه السلام لما خرجوا من السفينة فمنهم من أخذ نحو يمين الكعبة، ومنهم من أخذ نحو يسارها فسمى الموضع باسم الجهة المأخوذ منها فقيل يمين وشأم.

وقيل: سمى بذلك الجبال هناك بيض وسود كأنها شامات.

وقيل: سميت باسم سام بن نوح، لأنه أول من نزل بها فتطيرت العرب من سكناها وكرهت أن تقول سام لأنه اسم الموت فقالت شام.

وقيل: لكثرة قراها وتدانى بعضها من بعض فسميت بالشام.

وقيل: لأن قوما من بنى كنعان ابن حام خرجوا عند تفرقهم فتشاموا إليها، أى أخذوا ذات الشمال فسميت بذلك شامًا.

حدود الشام:

من الغرب البحر المالح وعلى ساحله عدة مدائن ومن الجنوب، رمل مصر، والعريش ثم تيه بنى إسرائيل (سيناء) وطور سيناء ثم تبوك، ثم دوحة الجندل، ومن الشرق برية السماوة، وهى كبيرة وممتدة إلى العراق ينزلها عرب الشام، ومن الشمال مما يلى الشرق أيضًا الفرات إلى بلاد الجزيرة.

وقسم آخرون الشام خمسة أقسام كما فى مثير الغرام:

الأول: فلسطين سمى بذلك لأن أول من نزلها فلسطينى ابن كوسجين بن مغطى ابن يونان بن يافث بن نوح، وأول حدودها من طريق مصر رفح، ثم يليها غزة ثم الرملة.

ومن مدن فلسطين إيليا وهى بيت المقدس بينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلا وكانت بيت المقدس دار ملك داود وسليمان عليهما السلام وعسقلان مدينة الخليل عليه السلام، ونابلس.

الثانى: صوارن مدينتها العظمى ولبحيرتها ذكر فى حديث يأجوج ومأجوج وقع فى الشفاء للقاضى عياض رحمه الله أن قال: فى وقت ولادته ﷺ غاضت بحيرة طبرية وإنما هى بحيرة سامره، ومن مدنها الغور، واليرموك، وبيسان فيما بين فلسطين والأردن وبيسان هذه التى سأل الدجال عن نخلها، والأردن هو النهر المعروف بالشريعة المذكور فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ**﴾ [البقرة: ٢٤٩].

الثالث: الغوطة ولها ذكر فى آثار عديدة ومدينتها دمشق قيل هى ذات العماد، وقيل كانت دار نوح عليه السلام، ومن سواحلها طرابلس وفى كتاب الأربعين البلدانية للحافظ أبى القاسم على بن هبة الله بن عساكر: أن دمشق أم الشام فأكبر بلدانها وهى من الأرض المقدسة.

الرابع: حمص قيل لا يدخلها حية ولا عقرب وقال قتادة: نزلها خمسمائة صحابى ومن أعمالها مدينة سلمية.

الخامس: قنسرين ومدينتها العظمى حلب ومن أعمالها مدينة سرمين، وأنطاكية ويقال بها قبر حبيب النجار.

واتفق العلماء على أن الشام أفضل البقاع بعد مكة والمدينة، قال الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام رحمه الله فى تأليفه ترغيب أهل الإسلام فى سكن الشام، وبعد فأحمد الله تعالى على أن حبب إلينا الإيمان وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وجعلنا من أهل الشام الذى بارك فيه للعالمين وأسكنه الأنبياء والمرسلين والأولياء المخلصين، وخصه بملائكته المقربين وجعله فى كفالة رب العالمين وجعل أهله على

الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم إلى يوم الدين وجعله معقل المؤمنين، وملجأ اللاجئين سيما دمشق الموصوفة فى القرآن الكريم بأنها ذات قرار ومعين، كذا روى عن سيد المرسلين وجماعة من المقربين وبها ينزل عيسى بن مريم لإعزاز الدين ونصر الموحدين، وقتل الكافرين وبغوطها تمتد الملاحم فسطاط المسلمين. ثم قال:

وقد وقر الله سبحانه حظ دمشق بما أجراه فيها من الأنهار وسلسلة من مياهها خلال المنازل والديار وأنبته بظاهرها من الحبوب والثمار والأزهار، وجعلها موطنا لعباده الأخيار وساق إليها صفوته من الأبرار وما ذكره علماء السلف فى تفسير آى كتابه العزيز المختار، وما ورد فى حض النبى ﷺ على سكناها، وما تكفل به لها ولأهلها إلى غير ذلك من الأخبار والآثار. ا.هـ.

وعن ابن جوالة قال: يا رسول الله اختر لى بلدًا أكون فيها فلو أعلم أنك تبقى لى لم أختر على قربك شيئًا قال: عليك بالشام فلما رأى كراهتى للشام قال: أتدرى ما يقول الله تعالى فى الشام؟ إن الله يقول: يا شام أنت صفوتى من أرضى وبلادى أدخل فيك خيرتى من عبادى إن الله قد كفل لى بالشام وأهله.

وهذه شهادة رسول الله ﷺ باختيار الشام وتفضيلها، وباصطفائه ساكنيها واختياره لقاطنيها.

وعن أبى أمامة قال: لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام ويتحول أشرار أهل الشام إلى العراق.

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر. ثم انتقل فأقبل على القوم فقال لهم: اللهم بارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى مدنا وصاعنا، اللهم بارك لنا فى حرمنا وبارك لنا فى شامنا ويمننا فقال رجل والعراق يارسول الله، فقال: من ثم يطلع قرن الشيطان وتهيج الفتن، وذكره صاحب مثير الغرام بأقصر منه. ثم قال: أخرجه البخارى فى صحيحه.

واعلم أنه فى دمشق وضواحيها أماكن فاضلة منها مسجدها الأعظم قال القرطبى: والتين مسجد دمشق كان بستانا لهود عليه السلام فيه تين.

وعن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ : رأيت عيسى بن مريم يخرج

من عند المنارة البيضاء شرقى دمشق واضعًا يديه على أجنحة ملكين على ربطتين مشقوفين عليه السكنية.

وعن زيد بن وافد قال: رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبة وكانت الشعرة على رأسه لم تتغير.

فضل فلسطين:

لقى رجل كعب الأحبار فسأله كعب: ممن هو؟ قال: من أهل الشام. قال: لعلك من الجند الذين يدخل الجنة معهم سبعون ألفًا بغير حساب. قال: ومن هم؟ قال: أهل حمص. قال: لست منهم. قال: فلعلك من الجند الذين يعرفون فى الجنة بالثياب الخضر. قال: من هم؟ قال: أهل دمشق. قال: لست منهم؟ قال: ولعلك من الجند الذين هم تحت ظل عرش الرحمن. قال: من هم؟ قال: أهل الأردن. قال: لست منهم. قال: فلعلك من الجند الذين ينظر الله إليهم كل يوم مرتين؟ قال: ومن هم؟ قال: أهل فلسطين رواه صاحب كتاب الأنس.

ومن فضائل أهل الشام أنهم يقاتلون مع نبى الله عيسى بن مريم ﷺ الأعور الدجال وأن مكثه فى الأرض قليل.

وروى بشير بن الزبير عن عبادة بن قيس:

أن عيسى عليه السلام يأخذ من حجارة بيت المقدس ثلاثة أحجار: الأول منها يقول بسم الله إله إبراهيم، والثانى باسم إله إسحاق، والثالث باسم إله يعقوب، ثم يخرج بمن معه من المسلمين إلى الدجال فإذا رآه انهزم فيدركه عند باب لد فيرميه بأول حجر فيضعه بين عينيه، ثم الثانى، ثم الثالث، فيقع على الأرض فيقتله عيسى بن مريم عليه السلام، ويقتل اليهود حتى إن الحجر والشجر ليقولان: يا مؤمن هنا تحتى يهودى فأته فاقتله.

ثم قال ﷺ: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم، إمامًا مقسطًا عادلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير» ا.هـ.

والشام مهاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ وموطن عيسى ابن مريم عليه السلام وموطن يعقوب وإسحاق ويوسف عليهم السلام.

موقع القدس الشريف

تقع مدينة القدس فى بلاد الشام على خط ٣١ ٤٦ ٤٥ شمال خط الاستواء وعلى خط طول ٣٥ ١٣ ٢٥ شرق جرينتش، وهى هضبة غير مستوية يتراوح ارتفاعها بين (٢١٣٠، ٢٤٦٩) قدما. ويحيط بها كثير من الجبال، فهناك جبل الزيتون الذى يقع فى الجهة الشرقية من الحرم ولا يفصله عنه غير واد عميق سريع الانحدار هو وادى قدرون.

وقد ذكر جبل الزيتون فى التلمود باسم جبل المسيح أى جبل التتويج، وتسميه العرب اليوم باسم جبل الطور، وفى امتداد جبل الزيتون فى الجهة الجنوبية الشرقية من القدس يوجد جبل بطن الهوا، لا يفصله عنها غير وادى سلوان الذى يتصل كذلك بوادى قدرون.

ويسمى اليهود جبل بطن الهوا باسم (هارها مستحيت) أى جبل فاصح، وفى الجنوب الغربى للقدس يقع جبل صهيون وإلى الغرب منه يوجد جبل اكرا وجبل موريا أو جبل بيت المقدس.

نبذة عن تاريخ القدس

إلى الفتح العمرى

مدينة القدس هى من أشهر مدن العالم فى التاريخ القديم والحديث على حد سواء. فقد كانت القدس كما كانت فلسطين طريقًا من طرق الهجرات العربية القديمة من قلب شبه الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب.

ويرجع وجود الجنس العربى فيها اعتمادًا على الكشف فى الأثرية إلى عشرة آلاف سنة.

ومن خلال الألف الرابع هاجرت من قلب شبه الجزيرة قبائل العموريين والكنعانيين ومعهم اليبوسيون من جهة الخليج العربى.

وقد اكتشف العالم الأثرى Ab, Tmomer المختص بدراسة القدس بجامعة

أيرلندا الشمالية آثار اليبوسيين فى مدينة القدس فى ذلك التاريخ أى قبل مجئ العبرانية بثلاثة آلاف سنة.

وقيل إن أول من اختط مدينة القدس من ملوك اليبوسيين (ملكيصادق) ولما تولى ملكهم (سالم اليبوسى) زاد فى بناء المدينة، وشيد الأكمه الجنوبية المعروفة فى يومنا هذا بجبل صهيون برجا للدفاع عن المدينة وحمايتها، وقد أخذت المدينة اسمها منه فعرفت باسم (أور) بمعنى مدينة سالم.

ولعل أقدم النصوص التى ورد فيها ذكر مدينة القدس (أورسالم) قد عثر عليه فى أوائل القرن العشرين فى محافظة أسيوط، وهى النقوش التى تعرف باسم لوحات تل العمارنة، وهى عبارة عن مجموعة من اللوحات مكتوبة بالخط المسمارى واللغة البابلية يتخللها شرح باللغة الكنعانية (لغة فلسطين القديمة).

قد جاء فى لوحات تل العمارنة أن أحد رجال السلطة فى أورسالم اسمه عبد صبا أرسل إلى فرعون مصر تحتمس الأول (١٥٥٠ق.م) رسالة يستنجد فيها عدد من الجند لصد غارات شراذم من الغجر الرحل اسمهم (حبيرو). وقد خضعت (أورسالم) لفراعنة مصر فى عهد تحتمس الثالث (١٤٧٩ق.م) الذى أقام عليها حاكمًا من أبناء مصر.

كما كانت القدس من ممتلكات مصر فى عهد أمينحتب الثالث (١٤١٣ق.م) وأخناتون (١٣٧٥ق.م) وتوت عنخ آمون (١٣٥١ق.م) وسيتى الأول، ورمسيس الثانى (١٢٩٢ق.م) وشيشاق (٩٧٠ق.م) ونيخاد(٦١٠ق.م).

ظلت القدس فى يد اليبوسيين إلى السنة الثانية من حكم داود الذى بدأ بالاستيلاء على جبل صهيون وانتهى الأمر بالاستيلاء على أورسالم سنة (١٠٤٩ق.)، وخلف داود ولده سليمان (سنة ١٠١٥ق.م) وقد اتسعت القدس فى عهده وازدهرت. وبعد موته انقسمت المملكة فضعفت واستغل شيشاق فرعون مصر هذه الفرصة واحتل القدس (٩٧٠ق.م) إلا أن أورشليم ظلت أربعة قرون يحكمها اليهود فلم تسلم أبداً خلال تلك العصور من ثورة أو مؤامرة أو شغب أو قتال.

ولما استولى ملك بابل على القدس (سنة ٥٥٨ق.م) أحرقها الجيش وخربها

ونهبها، وأخذ معظم الأسرى إلى بابل حتى الملك نفسه أخذ إلى بابل، ثم قضى نهائيًا على مملكة يهوذا سنة (٥٨٦ق.م) فلما استولى كورش على عرش الفرس (٥٤٨ق.م) أذن لمن يشاء منهم أن يعود إلى أورشليم، ومع ذلك لم يتمكن اليهود بعد ذلك التاريخ من استعادة كيانهم السياسى بل راحوا يعيشون كطائفة دينية يرأسها كاهن.

وفى سنة (٣٣٢ق.م) غزا اليونان القدس وقد حاول الإسكندر أثناء حكمه للمدينة أن يصبغها بالحضارة اليونانية ولكنه لم يفلح فقد ظلت المدينة على طبيعتها فى اللغة والعادات والتقاليد والديانة وغيرها.

وقد استطاع أحد زعماء اليهود أن يثور على اليونان واستعاد الحكم سنة (١٥٦ق.م)، وبعد مضى قرن من الزمان تقريبًا استولى القائد الرومانى بومبى على المدينة سنة (٦٣ق.م).

وفى عهد الرومان ظهر السيد المسيح لكن اليهود قاوموه مقاومة عنيفة، أما الكنعانيون وغيرهم من الشعوب العربية بالقدس فمنهم من آمن بالمسيح ونصره وأيده ومنهم من أعرض عنه، وفى سنة (٧٠م) قتل القائد الرومانى تيتوس معظم من كان فى القدس من اليهود واستباح أموالهم ودمر هياكلهم وقضى على أى أثر لهم، وبرغم أن تيتوس قد بذل أقصى الجهد فى جعل عودة اليهود إلى سكنى القدس أمر مستحيل، إلا أن من بقى منهم لم يكف عن التآمر ضد الرومان، مما جعل الامبراطور هدريان يأمر بمحاصرة المدينة وهدم كل شيء فيها، ولم يترك يهوديا على قيد الحياة. كما قرر تغيير كل شيء حتى اسم المدينة فسماها (إيليا كابيتو لينا) كذلك أقام فى مكان الهيكل معبدًا لجوبيتر كبير آلهة الرومان، ووضع تمثالاً لهذا الإله، ومنع اليهود من دخولها وجعل عقوبة الإعدام لمن يقدم منهم على ذلك، ثم سمح لهم بالمجئ إليها يومًا واحدًا فى السنة والوقوف على جدار، بقى قائمًا من السور وفى الجزء الغربى من المدينة وهو الذى يسمى حائط المبكى[1]، وقد ظل خط السكنى بالقدس قائمًا على اليهود قرونا طويلة.

---

(١) وهو حائط البراق.

وقد استغل ملوك الفرس من الساسان فرصة ضعف الدولة البيزنطية وغزوا بلاد الشام ومنها مدينة القدس، فاستولوا عليها بقيادة (مرزية فروية) سنة (٦١٤م) وذبح من سكانها ٩٠ ألف مسيحى، وهدم كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس والدور والقصور وأخذ البطرك إلى بلادهم أسيرًا.

ويجمع المؤرخون على أن الفرس قاموا بهذه الأعمال بتحريض من اليهود وأن هؤلاء (اليهود) قتلوا من المسيحيين أكثر مما قتل الفرس، ومن ثم فقد كان طبيعيا عندما استرد هرقل إيليا سنة (٦٢٩) من الفرس أن ينتقم من اليهود فراح يقتلهم بالمئات.

ثم دخلت القدس صلحا فى حوزة المسلمين سنة (٦٣٦-١٥هـ).

دروس من الإسراء والمعراج

١ - من هذه الدروس بيان عظم فريضة الصلاة وأنها فرضت مباشرة من الله تعالى على رسوله ﷺ من فوق سبع سموات.

٢ - قيادة هذه الأمة الإسلامية لسائر الأمم بدلالة صلاة النبى ﷺ إمامًا بالأنبياء ببيت المقدس.

٣- مكانة بيت المقدس باعتبار الإسراء كان إليه وأنه القبلة الأولى للمسلمين وثالث الحرمين.

٤ - مكانة هذه الأمة ومكانة نبيها ﷺ الذى دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

٥- كانت رحلة الإسراء والمعراج أكبر تسلية وتسرية وتأييد للرسول ﷺ وأكبر رد على من يكذبه أو يؤذيه.

٦- إعلام الناس كافة أن الله تعالى هو الذى ينصر رسوله ويؤيده مهما فقد من نصراء على الأرض ومهما عاداه من عاداه فإن رب السموات والأرض يؤيده وينصره. وغير ذلك من الدروس والعبر.

●●●

الخلاصة

- اليهود يربون أولادهم على عقيدة في غاية الخطورة والتطرف فهم أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله.
- يقولون إن الله فقير وأنهم أغنياء، ويقولون يد الله مغلولة ، ويقولون إن الرب رب إسرائيل وحدها ، ويقولون فى تلمودهم الذى يقدسونه إن البشر كلهم سوى اليهود كلاب وحمير وخنازير وأن الرب خلقهم فى صورة بشر ليستطيع اليهود أن يسخرونهم وينتفعون بهم، وأنه يحل لهم قتل رجالهم وأطفالهم وسبى نساءهم وسلب أموالهم.
- وهم يدعون على الأنبياء الزنا واللواط وشرب الخمر.
- وهم قتلة الأنبياء قتلوا سبعين نبيًا فى يوم واحد ثم أقاموا السوق وقت العصر وكأنهم، لم يفعلوا شيئًا.
- وهم قتلة يحيى وزكريا عليهما السلام.
- وهم الذين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها عجلاً جسداً.
- وهم الذين اتخذوا عجلاً يعبدونه من دون الله .
- وهم الذين آذوا موسى وقالوا إنه آزر.
- وهم الذين هموا بقتل النبى ﷺ بحجر.
- وهم الذين عروا المرأة المسلمة فى عهد الرسول ﷺ .
- وهم الذين نقضوا العهود والمواثيق التى قطعوها على أنفسهم للرسول ﷺ .
- وهم يسبون الرسول ﷺ ويصفونه بأقبح الصفات.
- وهم الذين اخترعوا الشيوعية والعلمانية.
- وهم وراء تجارة الخمور وصناعتها.
- وهم وراء تجارة الرقيق الأبيض (الدعارة).

- وهم وراء الموضات الخليعة وإفساد نساء المسلمين بل نساء العالم أجمع.
- وهم وراء الاغتيالات السياسية الكبرى.
- وهم عبدة المال والجنس.
- وهم الذين شردوا شعب فلسطين واحتلوا أرضه وأقاموا عليها المستوطنات.
- وهم أصحاب مذابح فندق الملك داود وكفر قاسم ودير ياسين وصبرا وشاتيلا والحرم الإبراهيمي وبحر البقر ومذابح المخيمات وغيرها من المذابح.

●●●●

●●●

الفهـــرس